٥٠

مجلة
روايات أحلام

رجل ليوم واحد

www.elromancia.com

مرمورية

مجلة روايات أحلام

رجل ليوم واحد

تنهدت ديانا بقلق فكل ما في الطبيعة من جمال وسكون حولها لم يدخل الراحة إلى قلبها. عمتها مريضة على فراش الموت وهي تطلب بإلحاح رؤية زوج ديانا، لكن زوجها مات ولن تستطيع إخبار عمتها بهذا أبداً...

أخيراً اتخذت قراراً متهوراً: هناك في المستشفى القريبة رجل غريب وهذا الرجل فاقد الذاكرة، فما الذي يمنعها من إيهامه بأنه زوجها؟

كانت ديانا على الرغم من زواجها القصير ما تزال ساذجة قليلة الخبرة في الحكم على الرجال، فلم تدرك أنها لن تستطيع استغلال رجل كآدم ونتربورن دون أن تدفع الثمن غالياً...

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦د.	مصر ٤ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ر.	المغرب ١٥د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ف.	تونس ١,٥د.	السودان
الكويت ٥٠٠ف.	السعودية ٧ر.	عمان ٦٠٠ب.	العراق

www.elromancia.com

١ ـ من أنا؟

أوحت الغرفة على الرغم من بساطتها بالطمأنينة والسلام وكيف لا تكون كذلك، وهي التي كانت مفراً له من الكابوس الذي كان يعيشه ولقد استطاع في الأيام القليلة الماضية أن يمعن النظر في تلك الغرفة ولكنه الآن وبعدما راح جسده يتخذ عليه مطالباً أدرك كم هي ضيقة.

كانت جميع الراهبات اللواتي اعتنين به وخدمنه حتى أعدن إليه صحته رائعات حقاً. ومع هذا، كانت تلك بيئتهن لا بيئته، فهن قد اخترن العيش زاهدات بالحياة مكرساتٍ أنفسهن في خدمة الله وأتباعه من الإنسان.

كان يأتيه في بعض الأحيان حس باطني يؤكد له أن هذا النمط من العيش بعيد عن النمط الذي اعتاد عليه. كان يتألم كثيراً حين يحاول تحديد هويته ولم تستطع العناية واللطافة التي حظي بهما من تخفيف كآبته الناتجة عن عجزه عن تذكر أي شيء قبل تحطم الطائرة، وعلى الرغم من أن الطبيب أخبره بأن حالته لم تكن غير عادية وأن ذاكرته ستعود إليه في أي وقت، فقد شعر بأنه بدأ يفقد الثقة بتشخيص الطب.

لقد أخبروه بحادث الطائرة. وكان عاش كوابيس عدة عندما

نُقل إلى مستشفى الإرسالية الواقعة في الجبل وكان عليهم أن يخبروه بأنه لم ينجُ أحد سواه. بدا هاذياً ودهشاً وكان ينضح عرقاً كلما سمع أزيز طائرة تحلق في الفضاء. إلا أن هذا الخوف لم يلبث أن راح يتقهقر تدريجياً ليحلّ محله شعور بالراحة رافقه فضول زائد.

لم يستطع في البدء فهم لغة الراهبات ولغة ذلك الطبيب الأسمر الوجه، ولكنهم عادوا فاستخدموا الانكليزية الركيكة ليشرحوا له أن الطائرة قد تحطمت عندما كانت تجتاز منطقة الأنديز في أمريكا الجنوبية وان المستشفى واقعة في جبل قابع في مقاطعة مونترفيرد. وهي قرية صغيرة برتغالية اللغة تحاذي بوليفيا والبارغواي.

أعلمت ادارة المستشفى السلطات بذلك الحادث ولكن لأن الطائرة كانت تخص شركة برازيلية ولأن مونترافيرد تبعد أميالاً عن ضوضاء مدينة ريودي جانيرو سارت الأمور ببطء. كان هناك أشخاص إنكليزيون آخرون على متن الطائرة أيضاً مما جعل الأمور أكثر تعقيداً. كان الأمر يدعو إلى القلق ويحبط النفس وخاصة بعد التأخير المستمر في إجراء التحريات. لم يكن يطيق صبراً حتى يعرف هويته ومع ذلك كان بين الحين والآخر يطلق العنان لخواطره ويصدق أنه قد لا يستعيد ذاكرته أبداً.

فُتح الباب المؤدي إلى غرفته فأعلن عن وصول إحدى الراهبات وهي تلك الأخت آنا التي كانت تدنو الآن من سريره بهدوء، وهي تبعد عينيها عنه. الأخت آنا شابة، لا يزيد عمرها عن الثانية أو الثالثة والعشرين، وهي تعجز أمامه عن المحافظة

على هدوئها ورباطة جأشها وبما أنها كانت تدرس اللاهوت في دير في الولايات المتحدة فقد استطاعت أن تتعلم الإنكليزية بطلاقة، وهذا ما دعاها إلى القيام بتلبية مطالبه واحتياجاته.

بدا هذا أيضاً غريباً بالنسبة له. فالإنسان يعتقد أنّ فاقد الذاكرة يفقد كل شيء حتى المعلومات السابقة ولكن الأمر كان على خلاف ذلك. كان يعلم تماماً ما تعنيه الولايات المتحدة وكان يعرف معنى دير الرهبنة.

قالت الأخت آنا:

ـ مساء الخير يا سنيور كيف حالك الآن؟.

تنهد قليلاً ثم ألقى رأسه على الوسادة الملقاة خلفه. ألم الرأس الذي لازمه قد بدأ يخف تدريجياً.

ـ أنا أفضل بكثير.

أجاب تلك الإجابة ثم مدّ يده إلى لحيته التي لم يحاول أحد منذ فترة طويلة أن يحلقها له:

ـ متى أستطيع المغادرة؟ كانت الأخت ألفيرا هنا هذا الصباح وبدت وكأنها لم تفهم كلمة مما قلت.

رفعت الأخت آنا عينيها الجميلتين إليه:

ـ الأخت ألفيرا لا تتكلم الإنكليزية يا سنيور كنت أساعد الطبيب غيارمو في عملية جراحية لذا لم أستطع الوقوف على خدمتك.

عقدت ذراعيها كما اعتادت أن تفعل وتابعت تقول:

ـ لن يسمح لك الطبيب غيارمو بالمغادرة قبل عدة أيام يا سنيور. عليك أن تتذكر أن جسمك قد تعرّض لصدمة قوية.

www.elromancia.com

ـ ولكنني أشعر بتحسن تام. يبدو أن لا أحد على علم بالحالة المستعجلة الحاصلة. ألم يخطر على بال أحدهم أنه كان هناك سبب وجيه دفعني إلى زيارة أمريكا الجنوبية وأن في هذه اللحظة، شخصاً ما، في مكان ما قلق علي؟.

قالت الأخت آنا وهي تُظهر هدوءاً واهياً:

ـ نعلم هذا يا سنيور كما نعلم أنك تريد استرجاع ذاكرتك والعودة إلى نشاطاتك العادية، ولكن ألا تعتقد أنه لو كان هناك من يقلق عليك لقام بالتحريات اللازمة؟.

ـ ولكن هل لاقى خبر الاصطدام هذا حقه في الانتشار؟ أنا أعرف أن الصحف لا تغطي خبراً كهذا تغطية جيدة. لا بد أن الصحف قالت إن اصطداماً كبيراً حدث اليوم باكراً في مونتراڤيرد وكان حصيلته ستين أو سبعين قتيلاً بينهم ستة سيّاح بريطانيين. ولا أحسب أحداً سيضيف شيئاً إلا إذا تكرّم أحدهم وبذل قليلاً من الجهد لمعرفة التفاصيل.

بدت الأخت آنا منزعجة ومتفاجئة فقالت:

ـ لو كان لديك زوجة أو عائلة لاهتموا بالموضوع ولبذلوا قصارى جهدهم في البحث عنك.

تنهد قليلاً ثم قال:

ـ هذا إن كانوا يعلمون أنني سافرت على متن تلك الطائرة، ربما؟ ولكن، ماذا إن كانوا لا يعرفون شيئاً من هذا كله؟ ماذا لو كنت أعمل في ريودي جانيرو ثم استقليت فجأة طائرة إلى لاباز، هل سيعرف أحد بذلك؟

ارتبكت الأخت آنا ثم قالت:

ـ إن كنت تعمل في ريودي جانيرو، فهذا يعني أن الموظفين هناك سيلاحظون غيابك عن العمل.

تجهم وجهه وهو يقول:

ـ ربما هذا صحيح، أو ربما لا..

ثم مدَّ يده وراح يفرك جبهته التي كانت ترشح عرقاً فالجهد الذي كان يبذله لتذكر شيءٍ ما ـ أي شيءٍ ـ متعب للغاية.

اقتربت الأخت آنا فحركت الوسادة تحت رأسه بعزم ثم قالت:

ـ أنت تعلم أن ذلك لن يجدي نفعاً كما تعلم أيضاً أنك بذلك ترهق نفسك وهذا ما سيغضب الطبيب غيارمو

حوَّل رأسه إلى الجهة الثانية وهو لا يبالي بما تقوله الأخت آنا بل يحسُّ أنه يوشك أن يقول لها فليذهب الطبيب إلى الجحيم. لقد أصيبت حياته بتوقف وجمود تامَّين لذا يرى أنه يحق له استعادة روابط الماضي التي فقدها على أثر ذلك الحادث.

ولكن سرعان ما تبدَّد غضبه وحلَّ محله ذلك الشعور بالكآبة والهم، اللذين كانا يرافقان محاولاته اليائسة لمعرفة هويته. ثم نظر إلى الأخت آنا عابساً ممعناً فيها النظر بقصد إثارتها وقد جعل بنظراته تلك وجنتيها تتوهجان احمراراً.

ـ أخبريني، ما الذي يدفع فتاة مثلك إلى خوض هذا المضمار الشاق؟

سألها بصوتٍ خافتٍ جداً.

ـ من فضلك يا سنيور؟

www.elromancia.com

قالت تلك الكلمات ثم راحت تقيس سرعة نبضه غير أن عينيه بعد انتهائها من قياس النبض والحرارة راحتا ترافقانها أينما اتجهت في الغرفة.

- ممَّ تخافين؟.

وعندما امتنعت عن الإجابة أضاف:

- إنه سؤال بسيط. فلماذا لا تجيبين عنه؟

- ليس هناك من جواب بسيط يا سنيور.

نظر إليها بتهكم وقال:

- هذا ليس بردٍّ يا أختاه.

- ليس بوسعي أن أخبرك ما ليس لي به علم يا سنيور

قصدت الباب ثم قالت:

- ستحمل لك الأخت كارلوتا وجبة العشاء إلى هنا حالاً.

- لست جائعاً، لا تذهبي.

ثم رمقها بنظرة جعلت وجنتيها تتوردان ثانية.

- عليَّ أن أذهب.

- لماذا؟ هل تخافين مني؟.

ابتسم لها ابتسامة صغيرة ثم أضاف:

- أتعلمين أنني ربما كنت كاهناً وبذلك يكون بيننا قاسم مشترك.

- لا، لا أظن يا سنيور.

- لِمَ، لِمَ لا؟.

أمسكت ثوبها بطرف أصابعها وشدته بعنف وقالت:

- إنك لا تتصرف تصرف الكهنة.

- وكيف لي أن أفعل وأنا لا أعرف من أنا وماذا أكون؟

- لا لست كاهناً أبداً فثمة شيء آخر، شي ما يكمن داخل عينيك، شيء ما يجعلني متأكدة.

نظر إليها بعينين ساخرتين ثم قال.

- أبسبب الطريقة التي أنظر بها إليك؟ ألأنني أجد فيك ما يريح ويسر نظري؟

- سنيور.

انزعجت الأخت آنا مما قاله كثيراً، وأحس بتأنيب الضمير فجأة، فقد كان يستخدم تلك الفتاة البريئة الطاهرة ليهرب من أفكاره القاسية. وكان بتصرفه هذا قاسياً وصارماً.

تأوه قليلاً ثم قال:

- اذهبي، أنا آسف إن كنت أهنتك أو أسأت إليك.

ترددت الأخت آنا بعض الشيء وكأنها تود لو يضيف شيئاً آخر. ولكنها لم تلبث أن تنهدت تنهيدة عميقة ثم غادرت الغرفة.

أبعد الغطاء عنه ثم نهض من السرير لاعناً وشاتماً هذا الوهن الذي يشعر به كلما لامست قدماه أرض الغرفة الخشبية.

حاول أن يستقيم في وقفته، فإذا بألم رأسه يعود مجدداً لأنه بذل جهداً لم يعتد القيام به في هذه الآونة فانتظر ريثما يهدأ رأسه ثم توجه بهدوء إلى النافذة حيث وقف يتأمل الطبيعة.

كان المنظر مذهلاً ورائعاً فراح يفكر في أن المصابين بداء القرحة من رجال الأعمال يدفعون بسخاء لقضاء أسابيع قليلة في مكان هادىء وجميل كهذا.

www.elromancia.com

لوى فمه مفكراً كيف عرف ذلك؟ هل كان مطلعاً على عالم الأعمال إلى هذا الحد؟ وهل هو أحد أولئك الرجال المصابين بداء القرحة؟.

وضع يده على عضلات معدته ضاغطاً عليه.

لا؛ لو كان مصاباً بداء القرحة لاكتشف الطبيب غيارمو ذلك بنفسه، ففحوصاته كانت شاملة ولم يكن ليفوته شيء من هذا القبيل.

تنهد ثم سحب نفساً عميقاً من هواء الجبل النقي. كانت المستشفى مبنية على طرف الجبل، تحتها وادٍ عميق بعيد ينساب فيه بشكل فوضوي نهر تسقسق مياهه شاقة طريقها بين الصخور المغطاة بالطحلب والنبات الأخضر. ولكن أروع وأعظم منظر يُرى كان منظر قمم الجبال المكسوة بالثلوج التي كانت تشكل بدورها قسم القارة الأساسي. كانت الأنديز ببهائها جميلة من تحت متعرجة من فوق.

حينما كان واقفاً يراقب ما حوله أدرك أنه على الإنسان أن يستفيد من أية تجربة يمر بها. ربما كان هو نفسه المخطىء فقد جاهد طويلاً بدون أي أمل ليتعلق بحبال حياته التي أضاعها في العالم المتنافس خارجاً، ولقد كان دائماً يقع فريسة ضغوطات المنافسين.

أمسك رأسه بين يديه لأن ألم الرأس عاد من جديد. كان الآن يسمع أصواتاً في الممر خارج غرفته، فلما ظن أنها كارلوتا هرول إلى السرير وما هي إلا لحظات حتى فتح الباب الذي أطلت منه عجوز تجر عربة الطعام. انزعجت كارلوتا انزعاجاً

شديداً عندما رأته خارج فراشه وأخذت تثرثر بلغتها الخاصة وتشير له برأسها حتى صعد إلى فراشه بسرعة وكأنه أخرق. صرَّ على أسنانه خاضعاً بهدوء للانتهار غير المفهوم الذي وجهته له، ثم راح يلعن نفسه لأنه لم يرد عليها الإهانة.

لكن شعوره بالتعب الثقيل بدأ يداهمه فأسند جسمه إلى الوسادة وهو يحس بضجرٍ كبير.

غادرت كارلوتا الغرفة غاضبة أما هو فراح يلتقط طعامه من غير شهية.

بعد لحظات قليلة فتح باب غرفته ثانية فنظر غير دهش إلى الطبيب الواقف أمامه على العتبة فقد عرف أن كارلوتا لن تضيع وقتاً قبل إخبار الطبيب عن تصرفه.

تقدم غيارمو بهدوء إلى داخل الغرفة، ثم قال:

ـ أتعلم سنيور ما سبب مجيئي؟

ـ طبعاً أعلم. أخبرتك كارلوتا أنني تصرفت تصرف ولد شقي، وأستحق العقاب.

هزَّ غيارمو رأسه ثم قال:

ـ ليس صحيحاً على الإطلاق يا سنيور. أتظن أنني أصرُّ على بقائك في الفراش لغرض شخصي كريه؟ إنك تعلم أن كل ما أقوم به هو في سبيل مصلحتك.

ـ نعم، نعم أعلم هذا.

أسند رأسه إلى الوسادة متجاهلاً الإزعاج الذي سببه له الطبيب، ثم أضاف:

ـ أيها الطبيب، لقد مللت فعلاً. ألا تفهم ذلك؟ مللت لقد

مضى على وجودي هنا كم؟ كم يوماً؟ يبدو أنك لا تدرك كم هي طويلة هذه الأيام عليّ. ليس لديّ ما أقرأه ولا مَنْ أتكلم إليه ولا أقوم إلا بالاستلقاء على السرير والتحديق إلى السقف.

ـ إنه سوء حظك سنيور فليس لدى المستشفى كتب إنكليزية ولكن هذا لا يعني أن تبقى مهموماً مغموماً فصحتك تتحسن باطراد. نعم ما زلت ضعيفاً ولكنني أظن أنك غداً قد تغادر الفراش وتجلس قرب النافذة.

ـ متى ستتحرّون أمر هويتي؟ متى ستعرفون من أكون؟.

ـ لقد بدأت الأمور تنقشع يا سنيور. فالسلطات...

ـ آه، دعني من هذا الكلام على الأقل؟

قبض يديه بإحكام ولكن سرعان ما خمد غضبه وذلك حين بدأ الألم المميت في رأسه يزداد آه، اللعنة؟ يا لذاك الألم المميت.

عض غيارمو على شفته بأسف ثم قال:

ـ لو كان هناك ما أستطيع فعله لما ترددت لحظة في القيام به. ولكنني عاجز أمام حالتك. ليس عندك مشكلة، فلا ضغط على الدماغ، وليس هناك ما يحول بينك وبين استعادة ذاكرتك غداً. صدقني، يا سنيور لقد قابلت حالاتٍ كثيرة كحالتك.. عندما يصبح جسمك قادراً على تحمل الجهد، فإن ذاكرتك ستعود إليك. صدّقني؟

أغلق عينيه ولكنه عاد لينظر إلى الطبيب ثم قال:

ـ أعرف، أعرف هذا، وأعرف أنك تبذل قصارى جهدك لتساعدني، أرجوك تقبلّ اعتذاري.

بسط غيارمو يديه ثم قال:

ـ لا داعي إلى هذا سنيور أنا أفهم شعورك، لكنك لن تغادر سريرك قبل أن آذن لك، أليس كذلك؟ كان من الممكن أن تتعثر فتقع أرضاً وتظل ملقى على الأرض ساعاتٍ طوال قبل أن يعرف أحد بأمرك.

عَلَتْ وجهه ابتسامة باهتة ثم قال:

ـ صحيح أيها الطبيب.

* * *

www.elromancia.com

٢ ـ ماذا أفعل؟

أطلقت ديانا العنان لفرسها التي راحت تقلها إلى طريق الجبل وهي طريق اعتادت عليها الفرس. كان كل شيء يوحي بالسكون والراحة، فلا صوت إلا صوت النسيم الخافت الذي كان يحرك أكوام نبات الخنشار على حافة البحيرة، وكانت الشمس تغرق في السماء. تنهدت ديانا قليلاً وراحت تتأمل ما حولها من مناظر فإذا هي لم تتغير أقل تغيير فتساءلت كيف استطاعت التعايش مع بيئة ماثيو الاصطناعية دون أن ترى بلدها هذا. لقد كانت حمقاء حقاً حين تصورت خلاف ذلك.

تملكها وجوم شوّه جمال جبينها. ولكنها أصبحت أكثر خبرة بعد أن ابتعدت عن مونتراڤيرد مدة تزيد عن الثلاث سنوات. يا لسذاجتها! كانت ساذجة فعلاً حين صدقت كلمات ماثيو حول العواطف الأزلية وهو الذي، بعد مرور ثلاثة أشهر على زواجهما، راح يوجه اهتمامه إلى فتاة أخرى. أحسّت بشيء يقبض على نفسها حين تذكرت ما لاقته من ذل واحتقار. كانت ديانا تعلم أنه لولا اعتراض عمتها ربيكا، لعادت إلى القصر لإصلاح حياتهم الزوجية. غير أن العمة ربيكا امرأة مؤمنة ورصينة، وكانت العهود التي اتخذها كل من عمتها وماثيو ثابتة

حتى الموت..

لم يكن لديانا من تلجأ إليه سوى عمتها. نعم كان هناك سابقاً هاري وهو ابن عمها الذي تزوج منذ ثلاث سنوات وقد انتخب مؤخراً رئيساً لبلدية مونتراڤيرد لذا لم تستطع أن تجبر نفسها على كتابة رسالة تشرح له فيها مشاكلها على الرغم من أنها كانت تعلم أنه سيساعدها إن استطاع.

والداها قُتلا في الثورة عندما كانت طفلة صغيرة ثم اغتيل والد هاري الذي كان يشغل منصب الرئيس. كان وقتاً رهيباً بالفعل، فالمحرّض كارلوس ولّى نفسه رئيساً وأرسلت ديانا للعيش مع عمة والدها الكبرى في قصر دي لاروشا.

وكان أن بقيت ديانا هناك حتى تعرفت إلى ماثيوسليس وذلك في حفل استلام الرئيس الجديد مهام الرئاسة في قصر تيريڤادا.

حثت الفرس خطاها متخذة مجرى النهر المنساب وصولاً إلى أسفل الوادي ورفعت ديانا ناظرها تراقب نسراً راداً جناحيه.

عادت ديانا إلى القصر فإذا عمتها في حالة مزرية. كان فكرها ما زال مشغولاً في ايجاد حجج تبرر فيها غياب زوجها ماثيو الذي كانوا يتوقعون وصوله قريباً فعدم مجيئه سيُدخل الشك إلى سريرة عمتها عاجلاً أم آجلاً وعندها...

نظرت ديانا إلى يدها وهي تحدّق إلى خاتم الزواج العريض المرصّع بحبيبات ماسية فرغبت في انتزاعه لكي تمحو كل أثر دنيء تركه زواجها الذي لم يكن زواجاً البتة، ولكنها لم تستطع ذلك. فما دامت عمتها على قيد الحياة فلا بد لها من التظاهر

بأن زوجها ما يزال زوجها مع أن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً.. فماثيو قد مات وانتهى...

عبثاً تحاول أن تُقنع نفسها بأنها حزينة على موته وكيف تتأثر وهي لا تحبه الآن بل تشك في أنها أحبته يوماً فالحب لا يموت دون أن يخلّف أية آلام.

لم تكن تشعر تجاه ماثيو إلا بانجذاب حسي ولو كانت أكبر سناً، أكثر خبرة، لرأت الأمر على حقيقته. ولكنها أمضت حياتها داخل سجن عمتها ـ ذلك القصر المنعزل ـ وحياتها هذه دفعتها للاستجابة إلى أول نداء من رجل وسيم وجذاب كماثيو. وماثيو هذا كان جذاباً بالفعل وذا خبرة في مغازلة النساء مما سهّل عليه الوصول إلى قلبها.

أمسكت بخصلة من شعرها الذهبي الطويل ولفّتها وراء أذنها الصغيرة. ما أشد ما كان عليه غباؤها!.

اشتعلت النار في وجنتيها وهي تتذكر الإهانة والمذلة التي تعرضت لهما حين أتمّا زواجهما الحقير فماثيو مدمن على تناول الكحول ـ تلك العادة السيئة التي اكتشفتها فيه ـ غير أنه كان يعكف عنها فقط حين كان يقوم بالسباق جاعلاً حياته فريسة القدر. ولم يكن يأبه بديانا المسكينة أو يقيم لها اعتباراً وكان حين يُشبع رغبته الجسدية منها تضطجع ديانا في سريرها والدموع تملأ عينيها أما ماثيو فكان يستلقي على جنبه ويغط في سباتٍ عميق، غير مكترثٍ بدموعها.

كان هذا ما قتل مشاعر الفتاة التي نشأت على يدي عمتها وتعلمت في الدير، حتى لم تعد تتحمل لمسات زوجها لها.

ربما كانت هي المسؤولة جزئياً عن مأساة زواجهما ذلك أنها توقعت منه الشيء الكثير، وهي التي لم تكن على دراية بعالم الرجال لتقرر ما إذا كان تصرف ماثيو مثالياً وقد شكرت ربها كثيراً لأنها لم تنجب منه أية أطفال. فهي لم ترغب من يذكرها بحماقتها تلك.

كان قصر عمتها قائماً على طرف الوادي وهو قصر كبير امتزجت ألوان جدرانه بلون التلة الصخرية حتى بدا وكأنه جزء من تلك الصخور.

استطاعت الفرس شق طريقها بين الصخور حتى وصلت بوابة دخلت منها إلى حوش صغير. هناك أمسك خادم الفرس ودخلت ديانا من باب خشبي مزخرف.

مساحة القصر ضيقة ومحدودة على خلاف ما قد يتصور الناظر من الخارج. في الداخل درج لولبي صغير يؤدي إلى الطابق العلوي أما المدخل المقوس الشكل فقد كان يفضي إلى غرفة واسعة تطل على الوادي فيها موقد يستعمل حتى في أيام الحر بسبب سماكة جدران القصر التي تدرأ الحرارة عنها وهذه الغرفة هي غرفة الجلوس.

كانت كلوديا رفيقة عمتها العجوز تجلس في غرفة الجلوس مشغولة بالحياكة وهو عمل تدأب عليه دائماً وتتقنه اتقاناً دفع ديانا إلى التعجب فكلوديا لا تلجأ إلى النظارات أو العدسات المكبرة. تطلعت المرأة إلى ديانا فابتسمت لها ابتسامة ناعمة ومهذبة. كانت كلوديا تقوم برعاية السيدة ربيكا دي لاروشا بعد زواج ديانا.

www.elromancia.com

ـ مضى على غيابك وقت طويل، سنيورا حتى بدأت أقلق عليك؟.

ألقت ديانا قفازيها على الطاولة الموضوعة قرب الموقد وهزت كتفيها. لم يكن سؤال العجوز يدعو للاستغراب إلا أن ديانا تضايقت منها قليلاً.

ـ لقد بقيت عند هاري ومارشا أكثر مما كنت أنوي، فأنا لم أرَهما منذ وقت طويل وكان لدينا الكثير من الكلام.

أومأت كلوديا برأسها ثم قالت:

ـ عمتك ما زالت نائمة والممرضة تجلس بقربها الآن. أرى أنه من واجبك أن تتفقديها.

ترددت ديانا ثم قالت.

ـ كيف تجدين عمتي يا كلوديا أعني . . . هل تعتقدين أنها ستتحسن؟.

ـ بما أنك سألتني فأجيب أن نعم نعم ستتحسن. ولكن هل لديك سبب وجيه يحدوك إلى طرح سؤال كهذا؟ لا أحسبك تريدين العودة إلى أوروبا بما. . . .

قاطعتها ديانا وقد بدأ وجهها يتورّد:

ـ لا، لا أبداً. . أنا ـ أنا ـ بطبيعة الحال، أنت أقرب مني إليها يا كلوديا. . . أعني. . . اعتقدت أنك ربما تعرفين إن كان هناك أي تحسن.

نظرت كلوديا إليها بعينين فاحصتين ثم قالت:

ـ هل هناك ما يقلقك يا سنيورا؟ فأنت تبدين مرهقة؟.

أدارت ديانا وجهها لتخفي معالمه ثم قالت:

ـ لا، ليس هناك أي شيء.

ـ وأنا التي ظننتك قلقة على تأخر زوجك عن القدوم.

أحنت ديانا رأسها لئلا تلاحظ العجوز القلق البادي في عينيها ثم قالت:

ـ ماثيو لا بدّ قادم قريباً. اعذريني، فأنا ذاهبة لأطمئن على عمتي.

ارتقت ديانا الدرجات خافقة القلب، فحتى كلوديا بدأت ترتاب في هذا الأمر. عندما ستتحسن صحة عمتها ستسألها حتماً عن ماثيو وعن سبب تأخره عنهم. ولكن ماذا ستخبرها بعد ما أخبرها به المحامي؟ كان القصر بيتها الوحيد، بيتها الذي تحتمي به من العالم الخارجي.

عاودها الشعور بالخوف فاضطربت أعصابها وأحست بأنها مريضة ومنهارة كلياً.

كان الطابق الأول يقود إلى اتجاهين في أحد هذين الاتجاهين غرف النوم. غرفة عمتها أفضل الغرف جميعاً فهي واسعة إلى حد كبير جعلها في طفولتها تخافها أما الآن فأصبحت تعبق برائحة الأدوية، وقد أغلقت النوافذ كلها خشية من شمس النهار الحادة.

دخلت ديانا إلى غرفة عمتها فوقفت الممرضة ذات الثلاثين عاماً السمراء الوجه، القوية البنية، مبتسمة لها ابتسامة خافتة ثم قالت:

ـ مساء الخير يا سنيورا. هل استمتعت بنزهتك.

ـ نعم، شكراً لك!

www.elromancia.com

حوّلت ديانا نظرها إلى السرير:

ـ كيف حال عمتي الآن؟.

ـ لقد أمضت عمتك طيلة الظهيرة نائمة يا سنيورا. ولكنني أرى أن تنفسها تحسّن قليلاً.

عضت ديانا على شفتها ثم ابتسمت قائلة:

ـ لقد تعبت دون شك من الجلوس طوال الوقت. اقصدي تانيا لتناول شيء ما معها.

ترددت الممرضة بيترز ثم قالت:

ـ سوف يحملون لي العشاء إلى الغرفة.

ـ ألا تودين الاستمتاع بعشائك؟

ـ بكل تأكيد يا سنيورا.

ـ حسناً إذاً اذهبي الآن.

ـ حسناً، هذا لطف منك يا سنيورا.

هزت ديانا رأسها للممرضة التي ما إن ذهبت حتى جلست ديانا تنظر إلى النوافذ المغلقة. من هنا كان باستطاعتها أن ترى كل الوادي، لكن الغرفة الآن معتمة وباردة فالنوافذ كانت مغلقة بإحكام.

نظرت إلى العجوز الممددة على السرير. بدت كالعمياء في نومها على الرغم من أن نظرها كان حاداً وقوياً في يقظتها، ولكن سمعها ما عاد قوياً فهي الآن في الثمانين من العمر.

تحركت السيدة في سريرها فقالت شيئاً لم تفهمه ديانا. غير أنها لم تستيقظ، بل كانت تتكلم في نومها وتشد غطاء السرير بأصابعها. نظرت ديانا إلى الباب المغلق فترددت في نداء

الممرضة. أتهذي عمتها أم تتألم أم تشعر بعدم الراحة في نومها؟

هدأت ربيكا ثانيةً فاطمأن بال ديانا عندما تحركت عمتها مجدداً وانحنت إليها ديانا لأنها بدت تريد قول شيء.

ـ يجب ألا.. يجب ألا.. تدعوها تذهب.

هزت ديانا رأسها:

ـ من هي التي يجب ألا ندعها تذهب ربيكا؟.

ولكن ربيكا لم تسمعها:

ـ ما كان يجب أن تفعل ذلك، تعلمين أنه لا يجدي نفعاً.

ـ ماالذي لا يجدي نفعاً، ربيكا؟.

ـ كان يجب أن يعمل بنصيحة أم راوول.. أن يدعها تتكلم إلى.. إلى ديانا.

ثم لم يلبث أن خفت صوتها ولكن ديانا ارتعشت.

ماذا يعني كل ذلك؟ ولماذا كانت عمتها قلقة بشأن ذهابها؟ ولكن إلى أين؟ وعمّ كانت تتكلم؟.

بقيت ديانا تفكر في ما جرى حتى دخلت الممرضة بيترز مبتسمة:

ـ ما ألطفك سنيورا فقد تناولت عشائي خارجاً حيث الطقس جميل وبارد هذا المساء.

ـ حسناً، سيكون لك ذلك في الغد أيضاً، فمن حقك أن تستمتعي بوقتك ولو قليلاً.

ـ من واجبي، كموظفة هنا، أن أقوم أنا بخدمتها.

توجهت ديانا نحو الباب وقالت:

www.elromancia.com

ـ يجب أن أذهب الآن، أراك لاحقاً.

أومأت الممرضة برأسها وابتسمت مجدداً لديانا الخارجة من الباب متأرجحة الأفكار. كانت العجوز كلوديا لا تزال قابعة في غرفة الجلوس غارقة في الحياكة ولكن ديانا لاحظت أنها بدّلت ثوبها. نظرت كلوديا إلى ديانا وهي تدخل الغرفة فاستغربت الدهشة التي اعتلت وجه الفتاة فسألتها:

ـ هُل من خطب يا سنيورا؟ هل هي عمتك؟ لا تقولي إنها تعرضت لأزمة أخرى!.

ـ لا.. لا شيء من هذا القبيل... ما زالت نائمة.

ـ فهمت، هذا جيد. ولكنك تبدين متعبة يا سنيورا! هل أنت متأكدة أنه ليس هناك ما يزعجك؟.

استرخت ديانا على الكرسي وقالت:

ـ أمن الضروري أن يكون هناك ما يزعجني سوى صحة عمتي ربيكا؟

تركت كلوديا قطعة الصوف التي كانت تخيطها ولفّت يديها حول حجرها ثم قالت:

ـ هل أنت متأكدة أنك لست قلقة بشأن زوجك، يا سنيورا؟.

صرّت ديانا على أسنانها وراحت تنقر بأصابعها على الطاولة الموجودة جانب كرسيها وقالت:

ـ سبق أن أخبرتك أن ماثيو سيصل قريباً.

أخذت كلوديا تحدج الفتاة بنظرة شاملة:

ـ أظن أن عمتك تعتقد خلاف ذلك يا سنيورا.

ـ ماذا تقصدين؟

ـ ربما ما كان عليّ قول ذلك.

ـ لكنك قلته يا كلوديا ماذا كنت تقصدين؟.

نظرت كلوديا إلى يديها ثم قالت:

ـ لقد كانت عمتك قلقة عليك يا سنيورا، فهي تخاف ألا تكوني سعيدة مع ذلك الشاب الإنكليزي.

ـ ماذا؟

دهشت ديانا حتى كادت لا تصدق ما تسمع. يجب أن تعرف العمة ربيكا أن ابنة أخيها لم تعرف للسعادة معنىً ولم تذق لها طعماً مع ذلك الإنكليزي. يا لذلك الأمر المحير!

ثم أردفت تقول:

ـ هذا صحيح، فمنذ بدأت صحتها بالتقهقر ازدادت قلقاً عليك. إنها تخشى أن تتركي زوجك إن أصابها شيء كما تخشى أن تطلبي الطلاق فتنقضين بذلك عهدك لها.

قامت ديانا من مقعدها وقالت بغضبٍ شديد:

ـ ماذا أيضاً؟.

ـ أنت تعلمين أن عمتك لن ترضى بذلك.

فتحت ديانا فمها لتعترض لكنها ما لبثت أن أطبقته مرةً ثانية.

أمسكت ديانا رأسها بين يديها وقالت:

ـ إن عمتي هي التي أرغمتني على الزواج.

ـ أعرف هذا، ولكنها الآن تعتقد أنه كان من الأفضل لو لم تتزوجيه.

ارتبكت ديانا ثم قالت:

ـ تعنين.. أنها كانت تخطط لي أشياء أخرى؟.

وقفت كلوديا وهي تقول:

ـ علمتُ أنك كنت تلميذة مجدّة في الدير. وحدث أحياناً أن خطر على بالنا أنه ربما كان من المستحسن لو...

ـ لو التحقت بالدير راهبة تحت التدريب؟.

أرعبها ما سمعت، فهي لم تشعر يوماً بالاستجابة لنداء تلك الحياة.

ـ هذا وارد حقاً.

وفي تلك الأثناء دخلت تانيا، مدبرة المنزل، وهي تقول:

ـ متى ترغبين في تناول طعامك يا سنيورا؟.

استطاعت ديانا بصعوبة استعادة أفكارها السارحة بعيداً وقالت:

ـ آه، فلنقل بعد نصف ساعة يا تانيا، اتفقنا؟.

ما إن غادرت الخادمة الغرفة حتى قامت ديانا وهي تقول:

ـ سأستحم ثم أبدّل ملابسي يا كلوديا.

خرجت وخطاها بطيئة مشوشة الأفكار فما سمعته منذ برهة جعلها لا تعرف كيف تتصرف.

لقد فتحت كلمات كلوديا عينيها على أشياء لم تكن تفكر فيها أو تحسب لها حساباً، والآن لم تعد تأبه إن علمت عمتها بوفاة زوجها ماثيو...

حين دخلت الغرفة لاحقاً لتشارك كلوديا وجبة العشاء كانت ترتدي ثوباً من المخمل الخمري وكان شعرها منسدلاً على

كتفيها وما أدهشها أن كلوديا لم تكن وحيدة، فقد كانت تتحدث إلى رجل أسمر اللون طويل القامة، يزيد عمره عن الأربعين يرتدي رداء الرهبنة فأدركت أنه الأب جورج.

ـ الأب جورج؟ آه، ما أسعدني برؤيتك.

أمسك الرجل يدي ديانا بحرارة وقال:

ـ يا الله، ما هذا؟ أنتِ ديانا الصغيرة؟ تبدين جميلة.. جميلة جداً.

ـ أشكر لك اطراءك.. هل ستبقى معنا لتشاركنا العشاء؟.

هزّ الأب جورج رأسه معلناً موافقته ثم قال:

ـ هذا من دواعي سروري.

سُرّت ديانا لبقائه، فهي لم تكن ترغب في تمضية بقية السهرة مع كلوديا خشية أن تعود إلى استجوابها بشأن زوجها.

أثناء تناول الطعام تحدثوا عن العمة ربيكا. وكان الأب جورج قلقاً عليها.

ـ تقدمت عمتك في العمر ووهنت كثيراً حتى تكاد تقضي عليها أية أزمة تنتابها، فكوني على استعداد. من حسن الحظ أن لديك زوجاً تعودين إليه، ولولا ذلك لأصبحت وحيدة فريسة للقدر.

طأطأت ديانا رأسها، وكأنها تتفحص ما تبقى في كأسها من عصير ثم قالت:

ـ يأمل الطبيب غيارمو أن يفيدها الدواء الجديد.

ـ المسكنات تفيد فترة محدودة يا ديانا لذا لا تثقي بها ثقة كاملة. لقد عاشت عمتك حياة سعيدة.

www.elromancia.com

نشّف الأب جون فمه بالفوطة ثم تابع يقول:

- حسناً، يا ديانا ولكن عمتك تحتاج إليك أنت.

- صحيح؟.

- طبعاً، وسيكون الأمر أسهل حين يأتي زوجك ليؤازرك. فسعادة عمتك جزء من سعادتك لذا هي قلقة عليك وتريد أن تطمئن على مستقبلك يا صغيرتي.

نظرت ديانا إلى الأب جورج بعينين قلقتين. عاجلاً أم آجلاً سيعود الحديث إلى ماثيو، ولِمَ لا؟ فمن الطبيعي جداً أن يسأل كل شخص عن أحوال زوجها.

تساءلت ديانا وهي تضع كأسها على الطاولة ما الذي دفعها إلى هذا الموقف البغيض؟ بدأ ذلك حين التقت بمحامي عمتها السيد تورنتو في مطار كيرانوفا، فقد أخبرها هناك أن عمتها مريضة وأنها غير قادرة على تلقي أية صدمات وأنها تريد أن ترى ديانا وزوجها قبل أن تموت لتطمئن على سعادة ابنة أخيها.

استمعت ديانا إلى المحامي دون أن تتفوه بكلمة فقد صدمتها وفاته كثيراً، وكان أن امتنعت عن إخبار المحامي بترملها.

لم ينته الأمر بأن كذبت على المحامي فقط بل تجاوزت ذلك حين كذبت على الأب جورج وهو معرّفها، وذلك هو خطؤها الأكبر.

بعد أن تناولوا القهوة لاحقاً حاولت ديانا تحويل دفة الموضوع بعيداً عن زوجها أو عمتها.

- يجب أن أزور الدير، فأنا مشتاقة للأخت آنا والأخت

لويزا ووالدة راوول بالتأكيد.

أجاب الأب جورج:

- وهم سيسرون برؤيتك يا طفلتي على الرغم من أن الأخت آنا تعمل اليوم في مستشفى الإرسالية.

صبّت ديانا القهوة في فنجانها وتابعت تقول:

- وهل تحب عملها ذاك؟ سمعت على ما أعتقد أنها كانت تريد أن تترك مهنة التمريض.

رفع الأب جورج حاجبيه وقال:

- أظنها سعيدة بعملها، مع أنني أتساءل أحياناً عما إذا كان هذا النمط من الحياة يناسبها.

- لِمَ تقول ذلك؟

عبس الأب جون قليلاً ثم قال:

- ربما أسأت الحكم، فالأخت آنا ممرضة متخصصة. ولكن هناك رجل في المستشفى وأخاف أن.. ربما سمعتِ عن ذلك المريض يا ديانا، فهو الوحيد الناجي من حادث تحطم الطائرة الذي وقع منذ أسبوعين وذلك بعد وصولك إلى المنطقة بوقت قصير.

أصغت ديانا إلى كلامه ثم قالت:

- لا أذكر شيئاً عن هذا الموضوع لأن عمتي كانت مريضة جداً في ذلك الوقت و...

- هذا صحيح، وربما لهذا لم تثر هذه الأخبار اهتمامك ولكن هذا الرجل لا يزال في المستشفى. فاقد الذاكرة لسوء حظه.

نظرت ديانا فجأة إليه وقالت:

ـ ماذا؟ فقد ذاكرته؟.

أجابها الأب جورج بنعم وهو يرشف قهوته:

ـ لقد واجهوا صعوبات كثيرة معه في البداية، فهو إنكليزي غير أن صديقتك الأخت آنا هوّنت عليهم الأمر قليلاً. يقول الطبيب غيارمو إن حالته مؤقتة، ولكنه حتى الآن لم يطرأ عليه أي تحسّن ملموس. وأخشى أنهم بدأوا يفقدون الأمل.

ارتعشت ديانا وراحت الأفكار والأحاسيس تتسابق إلى ذهنها وقلبها. يستحوذ عليها فضول كبير بخصوص ذلك الإنكليزي، وبعد قليل سألته:

ـ أتقول إن لا أحد يعرف هويته؟.

ـ لا، لا أحد. فهذه الأمور تستغرق وقتاً طويلاً، كما تعلمين، وهي ليست بالأمر اليسير، وقد واجه رجال المباحث صعوبات عدة حتى توصلوا إلى معرفة هوية بعض المسافرين. لقد وجدوا ما تبقى من حطام الطائرة لكنهم لم يعثروا على شيء بخصوص هذا الرجل.

ـ فهمت.

قالت ديانا تلك الكلمة وهي ترطب شفتيها بلسانها. ثم راحت أفكار غريبة ومجنونة تتسابق إلى عقلها.

أردف الأب جورج قائلاً:

ـ ربما يسمحون لك بزيارته يا ديانا وعندئذٍ حدثيه عن بلده الذي قدمت منه منذ فترة وجيزة فلربما استطعت تقديم ما يفيده.

ـ إن.. إن كان هذا سيجدي نفعاً، فسأقدم عليه يا أبتاه.

ـ أنا لا يهمني أمر المريض يا ديانا، بقدر ما يهمني أمر الأخت آنا، فهذا الرجل بدأ يؤثر فيها بشكل مقلق.

أشعلت ديانا سيجارة راحت تدخنها بشغف.

ضجَّ فكرها بأفكار وخطط كثيرة وكانت ترغب في مزيد من الاستفسار عن ذلك الرجل، ولكنها لم تجرؤ على ذلك مخافة أن ينتبه الأب جورج إلى اهتمامها الزائد بالمريض.

وهكذا راحت تفكر في كيفية الاستفادة من ظروف هذا المريض.

صعد الأب جورج ليرى العمة ربيكا قبل أن يخرج فرافقته ديانا إلى فوق. كانت العمة ربيكا مستيقظة في تلك الأثناء ولكنها بدت عليلة واهنة فبصرها شحّ كثيراً حتى تكاد تعجز عن تمييز الأشخاص الذين يأتون زائرين.

رحبت العمة بالراهب كثيراً، وطلبت منه أن يجلس قربها، ففعل ثم راحت تحدثه عن ديانا قائلة:

ـ إنني مسرورة جداً بعودة ديانا، لم أكن أعرف أني سأشتاق إليها إلى هذا الحد.

نظر الأب إلى الفتاة ثم قال:

ـ نعم، لقد أصبحت ابنة أخيك امرأة في غاية الجمال. نعم، إنها جميلة، جميلة وناضجة حقاً.

ـ أتراها سعيدة يا جورج؟.

ـ آه، نعم... أعتقد أنها سعيدة لا تشغلي بالك يا ربيكا فديانا ستكون على ما يرام.

هزت ربيكا رأسها وكأنها تشك في ذلك:

ـ أخاف عليها، يا جورج فهي ليست مثلي. وكيف لها أن تكون؟ فأنا امرأة صلبة وقاسية، صلبة بسبب ما خلفه علي الموت من أحزان. لقد رأيت أصدقائي يقتلون بسبب معتقداتهم، رأيت والديّ ديانا يسجنان ويعذبان لأنهما كانا يحبان رئيسهما. ولكن ديانا لم ترَ شيئاً من هذا، فقد عاشت حياتها مختبئة محمية. نعم كل حياتها.

ـ ولكن السلام يعم مونتراڤيرد اليوم يا ربيكا. فالثورات ولّت مع الماضي، وليس هناك ما يمنع أولاد ديانا وأولاد أولادها من العيش بسلام تام هنا!.

ـ سبق أن سمعنا هذا الكلام يا جورج.

ـ ما زلت تعيشين في الماضي ربيكا.

ـ ربما هذا صحيح.

ثم حوّلت بصرها إلى ديانا:

ـ أخبريني متى سيصل مائيو.

شعرت ديانا بالدم يفور في وجنتيها مرة ثانية وتمنت ألاّ يلاحظ الأب جورج ارتباكها.

ـ قريباً يا عمتي، سيصل قريباً.

لم يلحظ الأب جورج شيئاً من اضطرابها وقام مستأذناً.

ـ علي الذهاب الآن، فالوقت قد تأخر ويجب أن تستريحي ولكنني سأمكث في الوادي بعض الوقت ربيكا لذا توقعي زيارتي قريباً.

ـ أرجوك تعال فأنا أحتاج إلى تشجيعك ومعونتك.

ـ سيلهمك الله الصبر والقوة، يا عزيزتي.

أمسك الأب جورج بكتف ديانا وراح يحدثها وهما ينزلان الدرجات. قال:

ـ سأخبر الطبيب غيارمو أنك ستأتين لزيارة المستشفى. متى أخبرهم بقدومك؟ غداً؟ أم بعد غدٍ؟.

ترددت ديانا قليلاً، فهي لم تقرر شيئاً حتى الآن ولم تكن تريد أن تزيد الأمور تعقيداً.

ـ ربما في غضون يومين يا أبتاه، أنا... حسناً لست متأكدة من قيامي بها غداً.

ـ حسناً، حسناً، وإن كنت لا ترغبين في الذهاب فلا تذهبي فلست مجبرة على ذلك.

ـ أنا أنا لم أفكر ملياً في الأمر بعد، سرني لقاؤك يا أبتاه! يجب أن تأتي مجدداً في القريب العاجل فأنت تعرف أننا نرحب بك دائماً.

ـ شكراً لك يا ابنتي، أنا سعيد لأن حياة الإنكليز لم تغير فيك شيئاً.

أغلقت ديانا الباب خلفه وهي تشعر بخوف قليل ممزوج بالاحساس بالذنب. نعم هي، حتى الآن، لم تتخذ قراراً ونعم هي لا تنكر أن فكرة ادعاء ذلك الرجل المجهول زوجاً ما تزال في عداد أفكارها المجنونة ولكن كل ما تخشاه أن ترتكب خطأ جسيماً بحق نفسها.

* * *

٣ ـ رجل ليس لها

أحضر له الطبيب غيارمو بعض الثياب التي تناسقت مع جسمه النحيل كما أحضر له موسى حلاقة فسرّ بذلك، فقد مضى عليه وقت منذ أن حلق لحيته. أمسك بالموسى وراح يحلق لحيته لكنه ترك بعض الشعيرات حول فكيه لتخفي نحول وجهه..

سمح له الطبيب قبل أيام بمغادرة الفراش فترات قصيرة، بات الآن قادراً على ارتداء ملابسه كما بات قادراً على السير في حديقة مبنى الإرسالية.

وبما أن صحته بدأت تتحسن، وجد أن عليه أن يخفف العبء عن كاهل الأخوات اللواتي قُمن بخدمته.

حاول أن يتذكر المهنة التي كان يمارسها قبل الحادث فتعسّر عليه ذلك إذ كان كلما حاول تذكر شيء تتراءى له صفحة بيضاء فارغة.

الخوف الذي كان يتملكه حول إمكانية استرجاع ذاكرته أقلقه كثيراً واعتقد أنه عاجلاً أم آجلاً سيذكر شيئاً ما. لم يعد الهم يسيطر عليه كما كان في البداية، فمن المرعب أن يعرف أن عقله لم يعد قادراً على القيام بأية محاولة أخرى. هل هذا

معقول؟ هل يمكن لشخصية المرء أن تمحى كلياً؟.

كان يتناول قهوته الصباحية مع الطبيب غيارمو على الشرفة حين ظهر في المدى البعيد شخصان يمتطي كل منهما حصاناً. فأعجبه المنظر وظل ينظر إليهما. كانت الشمس تنشر ضوءها على جدار الشرفة، بينما الهواء الدافىء يعبق بعبير الزهور المنبعثة من حديقة الإرسالية.

حين اقترب الراكبان من الشرفة رأى أن أحدهما شابة طويلة القامة، ذهبية الشعر تلف شعرها بوشاح عريض ينسل من تحته خصلات طويلة.

كانت الفتاة تلبس سروالاً بنياً وقميصاً برتقالي اللون فضفاضاً يُظهر كامل أنوثتها ويرافقها صبي صغير لا يزيد عمره عن الخامسة أو السادسة عشرة فعرف أنه حارسها الخاص.

ما إن رآها الطبيب حتى نهض عن الكرسي فحذا هو حذوه.

غير أنهما بُغتا وهما يسمعان ما تقوله تلك الشابة التي ترجلت عن ظهر فرسها. بدا وجهها أصفر، وهي تقترب منه متجاهلة الطبيب:

ـ يا إلهي.

وأمسكت بذراعه:

ـ هل هذا معقول؟ أهذا أنت يا ماثيو! أوه؟ يا إلهي ما معنى هذا؟.

خيَّم الصمت عليهم لحظات لم يعد يسمع فيها أي صوت إلا حفيف الهواء المتلاعب بالشادر الذي كان يظلل الشرفة.

بعد قليل، بدا الطبيب وكأنه استعاد وعيه فقال بصوت مخنوق:

ـ ديانا أوَ تقصدين أن هذا الرجل زوجك؟.

أومأت الفتاة برأسها وكأنها لا تصدق الأمر ثم قالت:

ـ هذا... هذا ما أعنيه بالضبط. إنه ماثيو... زوجي ماثيو سليس.

تعجب كثيراً وبدا عليه التعب والإرهاق، كان يظن أنه حين يتعرف إليه أحدهم سيشعر بالألفة تجاه هذا الشخص.

ولكن وبعد مجيء هذه الشابة الغريبة التي كان من الواضح أنها من منطقة مونتراڤيرد وادعائها لا معرفته فحسب بل الزواج به، شعر بأن ذلك أمراً لا يصدق بل أنه أمر مدهش! بل مستحيل!.

هل يمكن أن يكون ذلك صحيحاً؟ هل يمكن أن تكون تلك الفتاة التي ناداها الطبيب باسم ديانا قد شاركته حياته حقاً؟ وبيته؟ وسريره؟ هل مضى على زواجهما وقت طويل؟ لا يبدو أنها تزوجت على الإطلاق. فهي لم تزل شابة فتية، صغيرة. هل أنجبا أطفالاً؟ إنه لأمر محيّر بالفعل لم يستطع تصديقه.

لاحظ الطبيب غيارمو أن حالة مريضه الصحية قد تسوء إذا بقي على الشرفة تحت أشعة الشمس الحارقة. لم يكن يهمه إن كان ما سمعه من ديانا صحيحاً أم لا بل يخشى أن يؤثر ذلك سلباً في مريضه. فكر قليلاً ثم قال:

ـ فلندخل، هيا، لا يسعنا مناقشة هذا الموضوع هنا.

تقدّمتهما ديانا بالدخول إلى غرفة الانتظار ثم تبعها الطبيب غيارمو ولم يلبثوا أن توجهوا جميعاً إلى غرفة المكتب، حيث أشار إليهما الطبيب بالجلوس على الكرسيين الموجودين حول طاولة المكتب.

جلس كل منهما على كرسيه ولكنه كان يشعر بالتعب من جرّاء تأثره بما سمع.

لم يظهر على ديانا أقل اضطراب أو قلق، بل على العكس راحت تتأمله بعينيها البنيتين الواسعتين المفعمتين بالدفء والحنان. هزَّ برأسه وهو ينظر إليها وكأنه يبحث في عينيها عن شيء ما. ترى عمَّ يبحث؟ إن ما يراه في عينيها ليس بالضبط ما كان يبحث عنه. إن كان زواجهما سعيداً فلا بد من وجود صداقة حميمة بينهما! إذاً لماذا كان على متن الطائرة وحده؟.

عاد ينظر إلى عينيها علَّه يجد مودة أو ألفة فيهما ولكنها سرعان ما أشاحت عينيها عنه وصوَّبتهما نحو الطبيب غيارمو. تجهم وجهه وسرى في قلبه خوف شديد: ماذا إن كانت كاذبة؟ ماذا لو ادعت أنه زوجها لغرضٍ ما في نفسها؟ إنه غريب وفي بلدٍ غريب وقد تكون ديانا شخصاً غريباً.

استند الطبيب غيارمو إلى حافة المكتب وراح ينظر في عينيها ثم قال:

ـ والآن، يا ديانا فلندع جانباً الشبه الذي يجمع بين هذا الرجل وبين زوجك. كيف تأكدت من أن مريضي هذا هو من تقصدين؟.

سحبت ديانا نفساً عميقاً ثم أجابت:

ـ كما... كما تعلم فإني أتوقع وصول زوجي ماثيو بين لحظة وأخرى... فمن المفترض به أن يلحق بي.

ـ نعم، نعم. لقد أخبرتني عمتك بهذا.

ـ حسناً إنه لم يصل بعد... ومع هذا، فقد سمعت من أصدقائه أنه غادر انكلترا فظننت... أن شيئاً ما أخرّه أنا لم أراسله حتى الآن لأن عمتي مريضة جداً و...

ـ فهمت، فهمت. تعتقدين أن ماثيو كان على متن الطائرة المتجهة إلى لاباز؟.

ـ هذا وارد فهو... حسناً، كان سيتوجه إلى ريو، وكان من الممكن أنه قرر أن يسافر إلى بوليفيا بدل انتظار رحلة كيرانوفا.

عضَّ الطبيب على شفته ثم قال:

ـ هذا ممكن غير أنه غريب بعض الشيء يا ديانا.

تضرجت وجنتا ديانا ثم أردفت تقول:

ـ كيف لك أن تقول ذلك؟ وأنا أرى ماثيو ماثلاً أمام عيني.

نهض الطبيب وهو يقول:

ـ فلنسلم أن ما تقولينه صحيحاً ومنطقياً ولنبدأ بهذه النقطة. حدثينا عن زوجك. هل عنده أية علامات فارقة؟ وهل لديك ما يُثبت هويته؟.

هزت ديانا رأسها ببطء وقالت «لا، لا أعتقد ذلك».

«لا تعتقدين»؟ وعاد الطبيب يتكىء على الطاولة ثم قال:

ـ ديانا! أتعلمين معنى ما تقولين؟ أنت تدَّعين أن هذا الرجل

زوجك لأن ملامح وجهه تشبه ملامح وجه زوجك؟.

وقفت ديانا وهي تبعد شعرها عن وجهها ثم قالت:

ـ لقد نسيت الظروف أيها الطبيب فما حصل مجرد صدفة.

صرخ بحدة وهو يكاد يختنق.

ـ هل ستكفان عن التصرف وكأني غير موجود! أليس لي شأن بهذه القضية؟ إنها حياتي، نعم إنكما تناقشان حياتي أنا، أليس كذلك؟.

اعتذر منه الطبيب غيارمو قائلاً:

ـ بكل تأكيد يا سنيور، اعذرنا. فهذه الحالة جديدة عليّ حتى بدأت أضلُّ فيها الطريق. لم يستطع أكفأ زملائي أن يشرح حالتك هذه، ولكنني متأكد كل التأكيد أن ظهور ديانا سيفيدك كثيراً.

أغمض عينيه وهو يشعر بخيبة أمل كبيرة. بدا له الأمر وكأنه مسرحية مضحكة.

ـ أيها الطبيب، أليس من المفترض أن نعتبر ما تقوله تلك الشابة صحيحاً؟ على أي حال، إنها مجرد محاولة فربما إن رأيت منزلنا... أو التقيت بمن يعرفني...

صرخت ديانا قبل أن يكمل كلامه:

ـ لا هذا مستحيل يا ماثيو، فبيتنا ليس في مونتراڤيرد. نحن... نحن نعيش في انكلترا، ألا تذكر؟ و... وليس هناك من يعرفك هنا سوى عمتي بالطبع...

قاطعها الطبيب بصوت جاف.

ـ وعمتك شبه عمياء الآن.

www.elromancia.com

وعاد يسأل:

ـ أخبريني عن نفسي. أخبريني ماذا أعمل، ما هي مهنتي؟ هل عندنا أطفال؟

ـ لا، ليس لدينا عائلة.

ثم رطبت شفتيها بلسانها وكأنها تخطط لما ستقول.

ـ إنك... إنك سائق سباق، وليس عندك مهنة ثابتة فأنت لا تحتاج إلى العمل. فوالدك هو السيد سام سليس الذي أورثك إرثاً ضخماً.

ـ تابعي، تابعي. فحتى الآن، لا أجد في قولك ما يثير ذاكرتي. كم مضى على زواجنا؟ وكم من العمر أبلغ؟ وأين كان لقاؤنا الأول؟.

ترددت ديانا قليلاً ثم أردفت تقول:

ـ التقينا في حفل تسلم الرئاسة في كيرانوفا... كان الرئيس ابن عمي لذا كنتُ هناك.

ـ لحظة من فضلك! هل أعرف ذلك... ذلك الرئيس؟.

دهش الطبيب كثيراً ثم قال:

ـ نعم يا ديانا عليك تقديمه إلى هاري.

ارتبكت ديانا فضمت يديها حول خصرها ثم قالت:

ـ أنا... أنا أعتقد ذلك ولكن هاري أخبرني حينما رأيته آخر مرة أنه سيعود إلى كيرانوفا. هو... هو ومارشا.

قال غيارمو متذمراً: «اللعنة».

ـ حسناً، لا تكترثا لهذا الأمر، فلنكمل الحديث من فضلكما.

تحسّست ديانا حنجرتها ثم قالت:

ـ حسناً، والآن، ماذا تريدني أن أخبرك؟ آه، صحيح، لقد مضى على زواجنا ما يزيد عن الثلاث سنوات وأنت في السابعة والثلاثين من العمر.

ـ إذاً. أنا أكبر منك بكثير.

ـ نعم، نعم ـ فأنا لم أتمَّ الثانية والعشرين.

عقد حاجبيه وكأنه يفكر في شيء ما. كان من المفترض أن يذكره هذا الحديث بأي شيء فإذا به لم يقدّم أدنى فائدة. لربما كانت تتكلم عن شخص غريب، فهو لم يشعر بأي انتماء أو قرابة تجمعه بذلك الرجل: سائق سباق!.

هل هذا معقول؟ لم يتصور نفسه يمتهن مهنة كهذه فأثناء وجوده في مستشفى الإرسالية، حدث أن أُعجب بالطبيب غيارمو وقدّر كثيراً ما يقوم به من أجله لذا لا يحسب نفسه راضياً عن مهنة سباق السيارات مورد عيش! كان يشعر بأن لديه عقلاً لا ينقصه إلا منفذاً ينطلق منه. حين كان يحاول أن يتذكر مهنته، تراودت إلى ذهنه الأعمال الصناعية والثقافية، ولم يخطر بباله أي من المهن الشعبية البسيطة.

دار غيارمو حول طاولة المكتب ثم توقف قليلاً:

ـ فلنفترض الآن أن مريضي هو زوجك حقاً. ولكن ألا يجب أن يكون هناك تحريات من قبل الخطوط الجوية؟ أو من قبل أصدقائكم أو الوكلاء المسؤولين في انكلترا؟.

ارتمت ديانا على مقعدها من جديد وقالت:

ـ طبعاً، طبعاً.

www.elromancia.com

أذهلت المريض التعابير الغامضة التي كانت تغزو عينيها كلما واجهها بسؤال من هذا النوع. أكان يتصور أشياء لا وجود لها أم أنها حقاً مترددة في التعرف إلى هويته؟وهل كانت على استعداد للقبول به دون أن تعرف الظروف الجديدة؟ وإن كان ذلك صحيحاً فلماذا هي على هذا الاضطراب؟ إنه لأمر محيّر ومريب فعلاً.

في تلك الأثناء أحسَّ بأن الموضوع قد خرج من يده فقرر أن ينجرف مع التيار ويقوم بكل ما يراه الطبيب مناسباً.

قال الطبيب:

ـ حسناً، إذاً. أظن أنك تقدرين وضعي وواجبي يا ديانا عليَّ أن أتأكد أن مريضي هو من تتحدثين عنه قبل أن أصرّح لك باخراجه من المستشفى فليس بإمكاني أن أسمح لك بذلك قبل أن أحظى ببرهان أكيد.

اصفر وجه ديانا وقالت: «فهمت».

توقف غيارمو قليلاً ثم توجّه إلى الباب يستأذنهما:

ـ أظن أننا بحاجة إلى شراب ما.

ثم نظر إلى مريضه قائلاً:

ـ إنها زائرتك الأولى وهذا يعني أنها فرصتك الأولى.

راح يتمشى في أرجاء الغرفة بعد أن أغلق الباب خلف الطبيب غيارمو. كان من السهل عليه أن يبدو متزناً وهادئاً أثناء وجود الطبيب أما الآن بعد خروجه فتغيرت حاله كلياً. إن كان ما قالته تلك الفتاة صحيحاً، فما عليه غير استغلال تلك الفرصة لاختبارها.

اقترب من الفتاة وراح ينظر إليها بطريقة غريبة ثم قال:

ـ ما اسمك؟ قبل الزواج.

ـ دي... دي لاروشا.

ديانا لاروشا كرّر اسمها عدة مرات ثم قال:

ـ اسمك لا يعني لي شيئاً

ثم تجهم وجهه وراح يدرس وجهها بإمعان وتروٍّ ثم تابع يقول:

ـ ولماذا كنت سألحق بك إلى مونتراڤيرد؟ أبسبب مرض عمتك؟.

ـ آه، نعم ـ نعم، فقد تلقيت برقية، ألا... ألا تذكر؟.

نظر إليها هازئاً متجهماً ثم قال:

ـ آه، نعم، بكل تأكيد لقد نسيت كل شيء، إلا أمر البرقية.

عضَّت ديانا على شفتيها متوردة الخدين ثم قالت: «إن آسفة».

غرز إبهامه في حزام سرواله ثم مشى في الغرفة. على الرغم من هذا الوضع الغريب لاحظ أنها شابة جذابة، وظن أن انجذابه نحوها قد يعني شيئاً لغيارمو. ثم تقدم باندفاع نحوها فحرّك الستارة الحريرية من وراء كتفها فذعرت من ملامسته وانتفضت كغزال أخافه شيء ما. عندئذٍ ألقى يده عنها وتساءل عن معنى تصرفها هذا يا الله، إن كانت هي زوجته كما تدعي، فمن حقه أن يلمسها إلا إذا كانت علاقتهما غير طبيعية؟ هل كان زواجهما زواجاً فاشلاً؟ ألهذا السبب ساقرت إلى جنوب أميركا

www.elromancia.com

بمفردها؟ من الطبيعي جداً أن يرافقها إن كانت عمتها مريضة جداً.

عقد حاجبيه وراح يفرك صُدغه بشكل مؤلم علَّه يتذكر شيئاً!.

وفجأةً تذكر شيئاً ما، كانت تلك لمحة خاطفة، زواجهما الفاشل وكأنه حقيقة. بدا الأمر كله كما لو أن باباً فُتح مسافة إنشين تاركاً إياه في جدال وعراك بشأن.. بشأن ماذا؟ هذا ما لم يتذكره.

كان سيخبرها بما حصل إلا أنه تراجع فجأة وقرر عكس ذلك. فليس هناك ما يدعو إلى رفع المعنويات بدون فائدة.

وبدت ديانا أقل اضطراباً حين ابتعد عنها. وهذا تصرف غريب على امرأة وجدت زوجها في ظروف غير عادية، أما هو فراح يملس شعره بيدين مرتجفتين وهو يرمقها بنظراتٍ حادة مفتعلة. بعد صمت طويل قال لها:

ـ أخبريني ما الذي دفعك إلى العيادة اليوم؟ هل سمعت عني؟ وهل توقعت أن أكون زوجك؟.

وقفت ديانا تقول:

ـ لا... لا، لم أتوقع شيئاً كهذا.. أنا... أعتقد أنك تعرف الأب جورج الذي يزور الإرسالية أحياناً ويتكلم إلى المرضى.

ـ نعم، أذكره. إنه الكاهن.

ـ هذا صحيح الأب جورج صديق حميم لعمتي وقد حدث حين كان يتناول طعام العشاء معنا تلك الليلة أن تكلّم عنك وقد

قال... قال إنك ستكون مسروراً بالتحدث إلى شخص ما عن انكلترا. كان... كان يعتقد أن ذلك سيوقظ ذاكرتك.

ـ آه فهمت ولكنني أراك هادئة على الرغم من تلقيك صدمة قوية.

تورد خديها وقالت:

ـ لا، لست هادئة، فأعصابي في الداخل متوترة أي توتر.

حين عاد الطبيب حاملاً عصيراً بارداًوبعض الكؤوس ارتاح بالها كثيراً.

خيَّم الصمت عليهم كلهم وباتت المناقشة صعبة، عندئذٍ اعتذرت ديانا طالبة الإذن بالخروج فكان أن اعتذر غيارمو أيضاً بحجة أن عليه زيارة أحد المرضى، فخرج وتركهما وحدهما. ولكن بعد أن بقيت معه على انفراد استولت عليها رغبة عارمة إلى الفرار.

انتظر ليرى ما إذا كان سيجد محبة أو عاطفة في وداعها ولكن ما أدهشه أنها مدت يدها وسلمت عليه ثم ابتعدت مع صبيها المرافق، تاركة إياه في ظلمة تفوق تلك الظلمة التي كان فيها قبل مجيئها.

وفي النهار ذاته وبينما كان مستلقياً على سريره، دخلت عليه الأخت آنا. ففتح عينيه مبتسماً:

ـ ما هذا؟ هل ستقيسين نبضي من جديد؟

ثم انتبه إلى الكتاب الذي في يدها فسألها عما تقرأ.

ـ لا لم آت لأقيس نبضك يا سنيور، وجدت هذا الكتاب بين كتبي المدرسية، فلما وجدته كتاباً انكليزياً فكرت في أن

www.elromancia.com

أحمله إليك.

عدّل ظهره قليلاً وجلس واضعاً رجليه على الأرض ثم قال:

ـ ما ألطفك! ما هو هذا الكتاب؟

ـ إنه يحكي قصة أحد المهندسين البريطانيين في بلادكم.. اسمه برونل هل سبق أن سمعت عنه؟.

تناول الكتاب الثقيل من يدها وراح يقلب صفحاته المزينة بانجازات برونل وأحس بنشوة تنتابه... اسامبار كنغدوم برونل. نعم، لقد سمع هذا الاسم من قبل وهو يعني له أكثر مما تعنيه أسماء بقية المشاهير.

عضّت الأخت آنا على شفتها وقالت:

ـ احتفظ به إن أحببت، سنيور فأنا لا أحتاجه.

ـ هذا لطف منك.

تجمدت وجنتا الأخت آنا وقالت: «حسناً... حسناً» وغادرت الغرفة فوراً.

حملق إلى الباب المغلق ثوان عديدة ثم أسرع وجلس على حافة السرير يتمعن في الكتاب الذي بين يديه.

ضغط بيديه على رقبته وقال لنفسه «فكر... هيا فكر» ثم انعكف على الكتاب يتفحصه. كان هناك نموذج عن السفينة الحديدية غريت استيرن إحدى إنجازات برونل العظيم، وإلى جانبها في الصفحة المقابلة صورة جسر كلفتون فوق نهر آيڤون في برستول. لفت الجسر انتباهه فراح يحملق في طريقة صنعه. كانت فعلاً تحفة هندسية رائعة أدهشته للغاية. حين كان صبياً

صغيراً، أحب برونل وتلفورد، أحبهما وتعلق بهما ولذلك أراد أن يصبح مهندساً هو نفسه ولذلك درس الفيزياء... العلوم... والرياضيات... ألقى بالكتاب جانباً وهتف بصوت مختنق. يا الله هل جنّ؟ الهندسة! تلك هي مهنته! تلك هي مهنته التي كان يمارسها قبل حادثة الطائرة.

وقف على قدميه وأمسك برأسه بين يديه علّه يوقف الصداع ولكن كان كل شيء يعود إليه. وعادت إليه الذكريات المؤلمة الواحدة تلو الأخرى فأحس للحظات أن رأسه سينفجر من قوة الضغط.

أمسك بالجرس ليطلب إحدى الأخوات ولكنه عاد وتركه. كلا ليس الآن، ليس قبل أن يتأكد تماماً أنه لم يكن يتصور كل ذلك.

قعد على السرير ثانية، وأسند كوعيه إلى ركبتيه ممسكاً رأسه بين يديه وهو يحس بغثيان يكاد يكتنفه.

عرف اسمه، نعم عرف اسمه بالفعل. لم يكن ماثيو سليس بل آدم ونتربورن... نعم آدم ونتربرون ولم يكن في السابعة والثلاثين من عمره بل في التاسعة والثلاثين، وسبب توجهه إلى أميركا الجنوبية كان يختلف كل الاختلاف عما قالته تلك الفتاة ديانا. كان مهندساً وقد وُظّف من قبل شركة هندسية للإعمار والبناء في لندن وقد أُرسل إلى ليما ليصمم جسراً حديدياً فوق منطقة الأنديز.

وجد عقب سيجارة في جيبه فأشعله بأصابع مرتجفة. فهم الآن سبب عدم نشر خبر اختفائه، فالشركة التي كان يعمل فيها

توقعت أن يكون في البيرو بينما ظنت دائرة الحكومة البيرية التي كانت تنتظر وصوله أنه ربما ما زال في طريقه إليهم ولعلهم ينتظرون بعض الوقت قبل أن يتصلوا بلندن لمعرفة سبب تأخره.

وهكذا بدأت الأمور تنقشع وتتضح الحقيقة شيئاً فشيئاً. وبدأ يتذكر تفاصيل شخصيته. لم يكن عنده زوجة في الوقت الحاضر، أما في الماضي فنعم. كان متزوجاً ثم طلق زوجته التي توفيت بعد ذلك بحادث دراجة نارية... استطاع تذكر ما مضى، لقد كان زواجهما عبارة عن عمل دنيء وخسيس، كان صغيراً حين تزوج نانسي. نعم هذا اسم زوجته التي لم يستغرق وقتاً طويلاً حتى اكتشف حقيقتها. فمنذ أن تزوجا كان زواجهما جحيماً لا يطاق. لم تكن نانسي ترافقه حين كان يسافر إلى بلاد بعيدة بدافع العمل، وهكذا كانا يقضيان أشهر طويلة بعيدين عن بعضهما البعض. ولكنه كان يعتقد أن زوجته نانسي ستكون مخلصة وفية.

حتى كان يوماً عاد فيه من رحلة قام بها إلى أميركا الجنوبية على غير توقع منها. وفي ذلك اليوم وجد زوجته مع رجل آخر.

رفضت الموافقة على الطلاق فانتظر الوقت المناسب حتى حظي به رغم أنفها. وعندما قتلت بعد ذلك لم يشعر بالحزن وهذا ما جعله متأكداً أن ما يدعى بالحب بين رجل وامرأة ليس سوى عبارة عن العلاقات الجسدية، لذا لم يكن مستعداً لارتكاب الخطأ نفسه من جديد..

وقف آدم ثم توجّه إلى النافذة، ينظر من خلالها إلى الوادي الكبير. الآن، وبعد أن بدأ عقله يستريح تذكر أن لديه مشاكل

أخرى، أهمها قضية المرأة التي زعمت اليوم أنها زوجته.

ابتسم قليلاً... كان يعلم أن الطبيب لم يقتنع بما قالته الشابة، ومع هذا، فإنها لم تقم بذلك العمل إلا عن طيب خاطر. ولكن لسوء حظها لم تجد دليلاً مقنعاً يثبت أنه زوجها.

هز رأسه، وقد طرأت على باله فكرة. فالاسم الذي نسبته إليه لم يعد غريباً عليه فمانيو سليس شخصية معروفة، في أوروبا على الأقل. وهو سائق سباق. ولكن ما أذهله أنه لا يشبه ذلك الرجل أقل تشابه.. نعم هما متشابهان طولاً إلا أن ملامح الوجه مختلفة كل الاختلاف عن ملامحه.

ضغط بكامل قبضته على حافة النافذة. لقد كان محقاً فيما كان يعتقد، فمن المؤكد أن هناك خطأ ما في قصة تلك الشابة. وقد أحس أنها كانت تكذب حتى قبل أن يكتشف هويته الحقيقة ولكن لماذا ادَّعت ذلك؟.

أدار وجهه قليلاً ليسنده إلى الجدار فهو يجد صعوبة في معرفة أسبابها. فالجهد الذي بذله في تذكر هويته يفوق طاقته. لذا ليس عليه الآن إلا الاستلقاء وطلب الراحة.

اضجَّع على سريره وهو يشعر بتوترٍ شديد. فكَّر في أن ينادي غيارمو ليطلعه على الأمر، فهو سيفرح ويبتهج بتلك الأخبار لأنها ستريحه من أصعب حالة مرضية عنده. حالما يصبح آدم قادراً على السفر، سيتوجه إلى ليما حاملاً معه أوراق المشروع كما كان متوقعاً. لم يعتقد أن تأخره سيثير مشاكل عدة، فالدوائر الحكومية، حسب اعتقاده، يُعتمد عليها في أي موضوع، وعلى هذا الأساس فإن تأخير شهر هناك لن يُحدث

أي اختلاف.

أغمض عينيه. ما أروع أن يتوصل الإنسان أخيراً إلى معرفة هويته. أحسَّ وكأن شهوراً مضت عليه في ظلام، ثم شعر بأن لديانا فضلاً فلولاها لما استرد ذاكرته.

حين استيقظ، وجد الطبيب غيارمو واقفاً قرب سريره ينظر إليه باهتمام وإمعان.

ـ آه سنيور! هل أنت بخير؟ حين جاءت كارلوتا لتقدم لك وجبة العشاء وجدتك فاقد الوعي.

ـ فاقد الوعي؟.

واستقام في جلسته وأمسك برأسه الذي كاد ينفجر من الصداع القوي:

ـ يا الله ما هذا الصداع الحاد؟.

ـ لقد أرهقك لقاء ديانا. كان يجدر بي ألاَّ أدعها تصدمك بهذا الشكل.

ـ لا أرجوك لم يكن الأمر كما...

ـ ومع ذلك، يبدو أنك لست بخير كما كنت أظن، ربما أسرعنا قليلاً. ولعل تحسن وضعك الصحي قد أعماني عن عدم استقرار حالتك الفكرية. كان يجب أن أعرف...

فتح آدم فمه ليقاطعه ولكنه ما لبث أن تراجع فجأة. خطرت في ذهنه صورة ديانا فشعر برغبة في التعرف إليها وإلى أسباب ادعائها الكاذب. ربما كان تصرفاً احمقاً ولكنه وبعد أن استرد ذاكرته ما عاد يريد الاسراع إلى ارتياد حياته القديمة فلتنتظر حياته أسابيع قليلة أخرى.

وكان أن امتنع عن إخبار الطبيب بالحقيقة متسائلاً عما ستفعله ديانا لتحضر لغيارمو دليلاً قاطعاً يشبع غريزته.

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ في ملابس تنكرية

ـ ولكن، يا ديانا! لن تقدري على فعل ذلك، بكل بساطة لن تقدري!.

كان المتكلم رجلاً طويل القامة أسمر الوجه، نحيل الجسم جذاباً يرتدي بدلة عشاءٍ رسمية مع زنار عريض التف حول صدره التقت به ديانا وهو في طريقه إلى جلسة رسمية.

قالت ديانا بصوت حزين:

ـ يجب أن أفعل ذلك يا هاري ألا تستطيع أن تفهم مدى أهمية الموضوع بالنسبة لي؟ أرجوك، قل بأنك ستساعدني، فلا أحد غيرك يقدر على ذلك.

أفلت هاري سلفادور يديها ونظر إليها بحنان.

ـ ديانا أنسيت أنه يوجد في مكان ما من يعرف هذا الرجل نِعْم المعرفة ولربما هناك العديد من النساء اللواتي يتألمن لغيابه. فكيف لك أن تتجاهلي هذه الاحتمالات في سبيل مأربك؟

ـ رجاءً حاول فهمي. فأنا لا أريد أن تفكر ربيكا في مستقبلي بعد الآن، هذا كل ما في الأمر. آه يا هاري، إن كان هناك من امرأة قلقة على زوجها فلماذا لم تأتِ حتى الآن؟ يا الله، لقد

مضى على الحادث ما يقارب الثلاثة أسابيع وهو وقت كافٍ للقيام بالبحث والاستعلامات.

تنهد هاري بعض الوقت ثم قال.

ـ إنك تطلبين المستحيل.

ـ لماذا؟ هل ما طلبته مخيف إلى هذه الدرجة؟ ما عليك إلا أن تثبت للطبيب غيارمو أن ذلك الرجل هو ماثيو سليس.

هزَّ هاري رأسه مفكراً. كان يحب ابنة عمه كثيراً ويخشى أن يخيب ظنها به. وبعد ما أخبرته به عن ماثيو سليس الحقيقي، كان يتمنى لو يمسكه بين يديه. لكن موته خفّف من كراهيته له، فلو كان يعرف أن ديانا غير سعيدة...

ـ ديانا أود مساعدتك ولكن، كما تعلمين، فالخطوط الجوية تقوم بالتحريات اللازمة بخصوص حادث الطائرة، وعاجلاً أم آجلاً ستتوصل إلى معرفة هوية هذا الرجل الحقيقية.

ـ أعلم هذا، ولكن هذه التحريات ستستغرق وقتاً طويلاً، وفي هذه الحالة بالأخص، بما أن الأغراض المتعلقة بالمسافرين قد احترقت...

ـ ولكن.. ماذا ستفعلين إن استعاد ذلك الرجل ذاكرته أثناء وجوده في منزل عمتك؟.

ـ عندها سأواجه الأمر بكل صراحة.

ـ وماذا تتوقعين أن تربحي؟.

ـ الحرية والراحة.

ـ وربيكا؟.

ـ لن تتعرف إليه جيداً بسبب نظرها الشحيح.

www.elromancia.com

ـ وماذا عن قريبي؟.

ـ الأب جورج؟ وهل تعتقد أنه سيسأل إن أخبرته أنت أن ماثيو سليس هو الشخص الموجود في الإرسالية.

ـ صحيح، فالأمر وقف على كلمتي. قد لا تصدقيني يا ديانا ولكن لكلمتي وزناً هنا انظري ماذا تريدين... أنت تطلبين مني أن أوافق على كذبة مدبرة دون وجود أسباب ملحة فعاجلاً أم آجلاً ستكتشف عمتك أن ماثيو قد توفّاه الله.

ـ لماذا؟.

ـ ماذا تعنين بلماذا؟.

ـ أعني ما قلت بالضبط. أنت تعلم يا هاري أن ربيكا طاعنة في السن وأن الطبيب غيارمو لا يتوقع لها الشفاء بعد تلك النوبة الحادة التي انتابتها.

ـ ماذا تخشين يا ديانا؟.

شدَّت ديانا خصلة من شعرها وقالت:

ـ أريد أن أعيش حياتي يا هاري. أو ليس هذا من حقي؟ فبعد السنوات الثلاث الماضية التي قضيتها مع ماثيو ما عدت أحتمل أية....

ثم توقفت قليلاً وكأنها لم تطق الكلام عن ذلك الموضوع. ثم أضافت.

ـ لقد أخبرتك بكل شيء يا هاري، يقول تورنتو...

اقتربت ديانا منه، وراحت تنظر إليه بعطفٍ وحنان وتوسل.

نظر هاري إليها ولكنه ما لبث أشاح بصره عنها. فقد كانت جذابة بل خلّابة، ولم يكن قادراً على مقاومة سحر عينيها

البنيتين وانحناءة... فمها الجميلة.

ـ أنت لا تعلمين ما تطلبينه مني يا ديانا.

أحست ديانا أنه بدأ يتراجع قليلاً فراح قلبها يخفق بسرعة ثم سألته بصوت رقيق وهي تتحسس الزنار الأبيض الملتف حول صدره.

ـ ألن تساعدني يا هاري؟.

ـ لا تحاولي هذه الخدع النسائية معي يا ديانا وإلا فإني سأشك في صحة ما أخبرتني به عن زوجك.

عندئذٍ أنزلت ديانا يدها عن صدره قائلة:

ـ ما أقذر كلامك!.

ـ صحيح ولكنه فعّال، أليس كذلك؟.

أدارت ديانا ظهرها وقالت:

ـ ليس هذا وقت إغاظة.

رفع ذقنها ثم قال:

ـ معك حق.. حسناً سأفكر في الأمر يا ديانا ولكنني سأفكر في سلامة وضعي بالدرجة الأولى. وماذا لو شاع هذا الموضوع بين الناس؟.

ـ وكيف له أن يشاع.

ـ حسناً.. حسناً.. يجب أن أذهب الآن فلدي موعد في السفارة بعد ربع ساعة.

عندئذٍ أمسكت ديانا ذراعه ثم راحت تشكره.

رمقها هاري بنظرة تسامح قبل أن ينطلق في سبيله.

أمضت ديانا المساء برفقة مارشا، زوجة هاري وصديقتها

www.elromancia.com

الحميمة. لقد كانت مارشا تنتظر ولادة طفلها الثاني في غضون أسابيع قليلة، ولهذا لم ترافق زوجها كما اعتادت أن تفعل. حاولت ديانا التركيز على ما تقوله مارشا، إلا أن فكرها كان مشغولاً بأشياء أخرى ولم يطمئن بالها حتى خلدت إلى غرفتها في نهاية المساء.

بعد أن أزاح عنها هاري العقبة الأولى، أصبح لديها متسع من الوقت للتخطيط لتلك اللعبة بروية.

منذ تزوجت ماثيو ماتت أحاسيسها الطبيعية ولم تعد تطيق اقتراب أي رجل منها وحين تذكرت ما حصل لها في عيادة الطبيب، عندما حاول الإنكليزي أن يلمس شعرها، ارتعش جسدها بشدة. ماذا ستفعل إن أرغمها على تلبية رغباته وإعطائه حقوقه الزوجية؟

تململت في سريرها وهي تفكر. لقد أحسّت بسعادة كبيرة عندما استجاب هاري لطلبها ولكن الخوف راح يستولي عليها الآن.

كانت تخشى العقبات والصعوبات التي ستواجهها في لعبتها تلك. هل ستنجح في اقناع ذلك الرجل بتجميد علاقتهما الزوجية حتى يسترد ذاكرته؟ وهل سيقبل هو بذلك؟ وإن رفض، فماذا ستفعل؟. وهل تكمل لعبتها الشيطانية أم تستسلم للقدر؟

جلست في سريرها تمسك رأسها بين يديها. هل هناك ما يستحق هذه المخاطرة كلها؟.

عاد في اليوم التالي هاري معها إلى الوادي وكانا قد استقلا الطائرة الرئيسية ليصلا إلى فولتيو ومن هناك سافرا معاً على متن

طوافة.

كان يوماً رائعاً، تظاهرت فيه ديانا بأنها لم تزل في ريعان الشباب، وأنها هي وهاري لا يقومان بمهمة خطيرة قد تجلب عليهما نتائج وخيمة.

بعدما حطت الطوافة في مكان عالٍ من الوادي توجها إلى العيادة بواسطة لاندروفر. كان هاري مختلفاً في الجينز والقميص المفتوح عنه في البذلة الرسمية.

كان الطبيب غيارمو في مكتبه حين وصلا. تقدم منهما وحيّا هاري بحرارة:

ـ ما أجمل أن نراك مجدداً، يا صديقي، كيف حال مارشا؟.

ـ بخير.. إنها تزداد جمالاً وإشراقاً يوماً بعد يوم.

ضحك غيارمو قائلاً: بكل تأكيد. ثم نظر إلى ديانا وسألها:

ـ وأنتِ يا ديانا! هل أحضرت هاري ليرى زوجك؟.

احمرّت وجنتاها لدى سماعها سؤاله المفاجيء وأجابت باختصار:

ـ نعم ولكن أين ماثيو؟.

ـ ماثيو في غرفته. ألا تجد صعوبة في تصديق قصة ديانا؟.

تردد هاري قليلاً ثم أجاب:

ـ إن ما تقوله ديانا منطقي جداً خاصة بعد أن علمت أن قائمة الأسماء كانت قد سحبت قبل عدة أسابيع من الإقلاع.

ـ لكن هذا الموضوع خطير.

ـ لولا حصول الاصطدام لعثروا على السجلات...

والآن.. هل نستطيع رؤية ذلك الرجل؟ فأنا مضطر للعودة إلى كيرانوفا بعد الظهر. ثمة اجتماع يجب أن أترأسه.

ـ طبعاً، طبعاً (أجاب الطبيب).

عندما فتح باب الغرفة، كان المريض يقرأ كتاباً كبيراً سرعان ما وضعه جانباً حين رآهم داخلين. وقف ينظر إليهم باستغراب ثم وقعت عيناه على ديانا فأخذ يمعن النظر فيها حتى أخافها. كان يبدو أكبر مما كانت تذكره، طويلاً بطول هاري.. لاحظت ديانا نظرة سخرية في عينيه الرماديتين لم تجدها من قبل.

اقترب هاري بعزم وثقة وأمسك بيده وهو يحملق في وجهه وصرخ قائلاً:

ـ ماثيو، يا إلهي، هذا أنت! لم أصدق ديانا حين أخبرتني أنك هنا.

بدت الريبة على وجهه فوقف يحملق بدهشة إلى ذلك الغريب الطويل القامة وراح يفكر. هل جنَّ هؤلاء القوم؟ هل طارت عقولهم؟ ثم سأله بصوت خافت:

ـ هل.. هل أعرفك؟.

عندها اقتربت ديانا منه وقالت:

ـ إنه هاري يا ماثيو. هاري ابن عمي.

تجهم وجه آدم. لقد سبق أن سمع هذا الاسم من قبل.. هاري! بالطبع، إنه الاسم الذي ذكره الطبيب في المرة الماضية. إنه رئيس تلك البلدة.

أربكه الموضوع كلياً ولم يعد يطيق الاستماع إلى ما

سيقولونه. فديانا كانت تحاول بشتى الطرق اقناع الطبيب بأنه زوجها، وقد استعانت بابن عمها لتثبت ادعاءها.

ـ أنا... ألست من عرفني إلى ديانا؟.

طأطأ هاري رأسه مجيباً:

ـ نعم، هذا صحيح. في قاعة الاحتفالات الرئاسية في كيرانوفا.

أومأ آدم برأسه ثم راح ينظر إلى غيارمو ومن ثم إلى هاري:

ـ أخشى أنني لا أذكر شيئاً على الاطلاق، وكما ترون، إن كانت صورة زوجتي لا تعني لي شيئاً، فكيف أنتم؟.

تنهد غيارمو قائلاً:

ـ ربما أنت على حق. ليس هناك من سبب وجيه يعيق استعادة ذاكرتك ولكن حين يحين ذلك....

التفت هاري إلى ديانا وسألها:

ـ إذاً، ماذا ستفعلين؟ أقترح أن تنقلي.. ماثيو من العيادة حالاً. فلربما تعود إليه ذاكرته في مكان ما بعيداً عن المستشفى وأنا أرى أن لا داعي إلى أن يعرف أحد شيئاً عن هذا الموضوع.

توقف قليلاً عن الكلام ثم أضاف:

ـ أعطني مقاسك لأطلب من الخياط تجهيز بعض الثياب لك قبل أن تصل إلى القصر.

استغرب آدم كلامه فسأله:

ـ القصر؟.

www.elromancia.com

ـ القصر هو.. القصر كان بيتي قبل أن أتزوج.

شرحت له ديانا ذلك مبتسمة ثم أضافت:

ـ أعرف أنه عليّ أن أعطيك شرحاً مفصلاً عن أمورنا الشخصية.

ـ حسناً تفعلين.

ثم رمقها بنظرة جعلت وجنتيها تتوهجان احمراراً. فتعجب من ذلك فهي بالنسبة لامرأة متزوجة ساذجة فكيف تقدم على مكيدة كهذه.

اتجه هاري نحو الباب وقال.

ـ حسناً يا ديانا... يجب أن أذهب، فقد وعدت مارشا بألاّ أتأخر.

تساءل آدم كيف ستتصرف معه ديانا، فقد سرّه أن يراها مضطربة. حاولت ديانا أن تبدو هادئة ولكنها لم تستطع.

بعد ذهاب هاري والطبيب راحت تمشي في الغرفة، تساءل آدم عما ستكون عليه ردة فعلها إن اقترب منها. كانت تعرف أنه ليس زوجها وهو يعرف ذلك أيضاً ولكن موقفه كان الأقوى، لأنها لا تعرف أنه كان على علم بكل شيء. فكّر في ممارسة لعبة غريبة عليها، وبينما كانت واقفة قرب النافذة تنظر إلى الجبال البعيدة، اقترب منها ووقف خلفها تماماً وراح يشم رائحة عطرها العابقة. كانت ترتدي قميصاً ضيقاً يتدلى عليه شعرها الذهبي فبدت أنثى بكل ما للكلمة من معنى وهو.. بالاضافة إلى هذا.. كان رجلاً.

وضع يده على كتفها فانتفضت كما حدث سابقاً فضغط

على كتفها بشدة وهمس اسمها بصوت ناعم جعل جسمها يرتعش تحت يده السمراء.

ـ ديانا ألا ترين أنه حان الوقت لنعوض ما فاتنا؟

ابتعدت عنه خائفة مذعورة ثم قالت:

ـ أرجوك، لا تلمسني.

ـ لكن لماذا؟ كيف لا ألمسك وأنت زوجتي.

ـ أعلم.. أعلم ذلك ولكنك نسيت.

ـ نسيت؟ نسيت ماذا؟.

ـ أنا.. أنا مريضة. فأعصابي متعبة حتى لا أكاد أطيق أن يلمسني أي إنسان.

ـ يا إلهي ديانا.

ـ ولم لا، إنها الحقيقة.

أطبق عليهما صمت قطعته بقولها:

ـ هل تريد سيجارة؟

ـ هل كنت أدخن؟

ـ نعم، أنت تدخن نوعاً أميركياً. ولكنني أفضّل نوعاً أخف.

وفيما هي تفتش عن قداحتها، أحضر صندوق الكبريت وأشعل السيجارتين بهدوء.

ـ شكراً لك.

ـ أخبريني! ما الذي يجعل امرأة جميلة مثلك مذعورة من زوجها؟.

ـ لست مذعورة إنما عليك أن تفهم أنه علي أن اعتاد

شخصاً ما لا يعرف اسمي على الأقل.

ـ إنه صعب عليَّ أيضاً.

ـ الأمر مختلف عند الرجال.

ـ لماذا؟

ـ كفّ عن الاجابة بهذه الطريقة الوقحة.

فقال ساخراً: «ألا تخشين أن تستهويني حريتي الجديدة».

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني أنني ما دمت لا أذكرك أو أذكر شيئاً عنك، قد انحرف إلى وجهة أخرى.

رمقته بنظرة واهنة.

ـ تعني إن لم أسمح لك.. أعني.. إن رفضت أن... آه! تعرف قصدي!.

ـ نعم أعرفه.

ـ إنك حقاً بغيض للغاية. حاول ولو مرة أن تتصرف كإنسان! والآن...

حاولت أن تغير دفة الحديث إلى وجهة أقل خصوصية فقالت:

ـ هل أخبرك عن الوضع في قصر عمتي!.

استمع إليها بصمت وهو يراقب ملامح وجهها المعبرة. لقد كان مسروراً يشعر بأنه يقوم بدور الجاسوس، أو بأنه ينتحل شخصية جديدة لم يعرف إلى أين ستؤدي به.

* * *

٥ ـ الباب المغلق

ارتدت ديانا ملابس المساء بعناية تخمد الخوف الذي غزا نفسها. كان كل شيء يسير على ما يرام فلماذا هي مضطربة إذاً؟.

جلست أمام طاولة الزينة تسرّح شعرها الطويل بروية، وهو عمل اعتادت على القيام به كلما شعرت بالاضطراب وكان ينجح ذلك فتهدأ ولكنها اليوم لم تعرف للهدوء معنى بل كيف تهدأ وفي الغرفة المجاورة التي يفصل بينها وبين غرفتها باب مغلق، كان ذلك الإنكليزي الذي ادَّعته ديانا زوجاً لها يستحم ويستعد للسهرة.

تنهدت ديانا وراحت تنظر إلى نفسها في المرآة. كان كل شيء سهلاً، سهلاً جداً. فعندما عاد هاري، اقتنعت رفيقة عمتها كلوديا بأن ذلك الرجل الغريب هو زوجها، لأنها لم تكن تعرف ماثيو قبل الآن.

علمت عمتها بالأمر، ولكنها لم تعرف الحقيقة بكاملها. فقد أخبروها أن ماثيو وصل أخيراً لكنها حتى الآن لم تلتقِ به.

غير أن ديانا لم تكن سعيدة. فقد بدأت تعرف قيمة الصعوبات التي يواجهها من يحاول الاستفادة من ظروف الآخرين لمصلحته الشخصية متجاهلاً شعورهم وأحاسيسهم.

www.elromancia.com

وهكذا، فإن الرجل الذي استخدمته ديانا لإتمام لعبتها قد بدأ يقلقها كثيراً.

كان هذا الرجل يملك كياناً خاصاً فريداً جعلها تجد صعوبة في التعامل معه بطريقة طبيعية ولعل أكثر ما كان يضايقها أن صورة ماثيو الخبيث الحقود تتأرجح في مخيلتها أثناء وجودها مع آدم وهذا ما كان يدفعها إلى الذعر في سريرتها كلما حاول الاقتراب منها.

ومع هذا، كانت تأمل أنه عاجلاً أم آجلاً سيكف عن اغرائها وتعذيبها، وعندئذٍ ستعيش بسلام تام. إنما حتى ذلك الوقت عليها أن تخفي قرفها وغثيانها أثناء وجوده.

لم يكن السبب في ذلك انعدام جاذبيته. بل على العكس، كانت تعرف أن نساءً عديدات يتمنين لو يحللن مكانها. غير أنها قابلت العديد من الرجال الجذابين أثناء وجودها مع ماثيو في إنكلترا فوجدتهم جميعاً متشابهين فهم لم يقدروا أنوثتها إلا قليلاً، وكان همهم الوحيد إيجاد طرق لخداع فريستهم التي كانت ترفض الاستسلام لهم.

نهضت عن الكرسي بعدما أنهت ماكياجها البسيط وتوجهت إلى خزانتها لترتدي ثوبها الأبيض الطويل الذي أضفى عليها جمالاً عذرياً وبعد ذلك سرَّحت شعرها وتركته منسدلاً على كتفيها كالعادة. فتوهجت الأقراط الماسية بين خصلات شعرها الذهبي الكثيف.

توجهت إلى الباب ولكن ما إن اقتربت حتى سمعت طرقاً على الباب المشترك بين غرفتها والغرفة المجاورة. أمسكت

المقبض ولكنها لم تفتح الباب بل ضغطت عليه بقوة دون أن تصدر صوتاً.

ـ ديانا.. افتحي الباب يا ديانا.

ترددت ديانا قليلاً، وفكَّرت في التظاهر بأنها خارج الغرفة ولكنها تذكرت أنه يستطيع أن يدخل من جهة الممر الطويل وعندئذٍ سيجدها ويعرف أنها كانت تكذب عليه. وأخيراً قررت أن تفتح الباب.

فتحت ديانا الباب ثم ابتعدت قليلاً، فأطلَّ آدم وهو في بزة العشاء التي أحضرها له هاري. بدأ أنيقاً وجذاباً حتى اتهمت نفسها بالمتهورة لأنها اعتقدت أنها ستكون قادرة على السيطرة على هذا الرجل. لو كان بإمكانها أن تختار، لاختارت رجلاً مختلفاً كل الاختلاف: أصغر وأكثر تهذيباً وطاعة، لا هذا المتعجرف الذي ما زال يتصدى لها بازعاج حانق.

ـ إننا لا نقفل الأبواب بين الرجل و المرأة في انكلترا، لم تخني ذاكرتي في مثل هذه الأمور يا ديانا.

مشت ديانا مسافة قصيرة مضطربة منفعلة ولكنها لم تلبث أن تمالكت نفسها وقالت:

ـ أنا آسفة، لقد أغلقت الباب منذ فترة عن غير وعي.

نظر إليها نظرة شديدة ثم سألها باستهزاء:

ـ صحيح؟.

ـ نعم صحيح! أتتهمني بالكذب؟.

هز رأسه ببطء ثم قال:

ـ دعينا من ذلك. تبدين رائعة هذا المساء. ألا يحق لي أن

www.elromancia.com

أبدي إعجابي بزوجتي؟ ليتك تقتربين مني ليزداد الوضع جمالاً.

ـ لا تكن سخيفاً ومزعجاً.

ابتعدت عنه متألمة من كلامه التهكمي الساخر، ثم قالت:

ـ إنها الأمسية الأولى التي نقضيها معاً. أليس بوسعنا أن نتصرف تصرفاً طبيعياً على الأقل؟

ـ هذا ما كنت أحاول فعله.

ـ آه، يا لك من حمل مزعج... سأذهب لأرى عمتي. هل سترافقني؟.

ـ إن أردت أنت ذلك.

كان يتصرف بطريقة غريبة، فقد حوّل بصره إلى سائر أنحاء الغرفة فلفت نظره تلك المساحيق والمستحضرات الكثيرة المصفوفة على طاولة الزينة فسألها:

ـ لا تقولي إن رجلاً ما سبق أن استخدم هذه الغرفة!.

أطبقت ديانا شفتيها ثم قالت:

ـ لا، أبداً... لقد أخبرتك باننا نعيش في انكلترا.

ـ وأين كان منزلنا؟.

ـ في لندن.

ـ حقاً؟ أعتقد أننا سنعود إلى لندن حالاً. ولكن، كيف لي أن أهمل أعمالي بهذا الشكل؟ أليس من واجبي أن أهتم بأمور العمل؟.

ـ سبق أن أخبرتك أنك هاوي سباق فقط.

ـ إذاً لا بدّ من سباقات يُفترض بي المشاركة فيها.

ـ آه، يا لك من مزعج؟ ألن تكف عن أسئلتك الكثيرة؟.

وفتحت باب الغرفة ثم خرجت إلى الممشى.

لحق بها قائلاً:

ـ أنا آسف. كنت أحاول الاعتياد على حياتي.

أحست ديانا بتأنيب الضمير فاعتذرت منه قائلة:

ـ أنا أيضاً آسفة... فأعصابي.

ـ صحيح، صحيح أعصابك..

ونظر إليها نظرة غامضة حثتها على تركه.

كانت ربيكا دي لاروشا تنتظره بفارغ الصبر. فقد وعدتها ديانا بأنها ستأتي معه وبما أن الموعد قد حان أحست بأعصابها مرهقة.

وحين دنت من سرير العمة كان يقف خلفها.

ـ مرحباً يا عمتي، كيف حالك؟.

ضغطت ربيكا على يد ديانا لحظة ثم تركتها ومدت يدها نحو رفيق ديانا وتمتمت قائلة:

ـ ماثيو، هل أنت هنا؟.

ـ نعم، عمتي ربيكا، أنا هنا. تسرني رؤيتك من جديد.

ـ لقد قلقنا عليك كثيراً. أليس كذلك يا ديانا؟.

ـ حسناً.. ها أنذا يا ربيكا أمام ناظريك.

ـ لم يعد، لسوء حظي، نظري كما كان في سابق عهده. غير أني أستطيع أن ألمسك وأسمعك وأتحسس جسدك. لماذا لم تزرني خلال تلك السنوات؟ ولماذا أبقيت ديانا بعيدة عني في انكلترا وأنت تعلم أنها غير سعيدة؟

أحست ديانا بالدم الحار يجري في عروقها وانتابها قلق من

جراء نظراته الممعنة التي راح يلقيها على عمتها.

ـ لم تكن سعيدة؟ صدقيني يا عمة لم أكن أعلم ذلك.

ـ بالطبع كنت تعلم كما تعلم أن هذا العالم المتصارع لا يناسب المرأة، فالمرأة تحتاج إلى منزل أمين وعائلة. متى ستصبحان عائلة يا ماثيو؟.

حملق في وجه ديانا رافعاً كتفيه باستهزاء:

ـ ليس حالاً يا عمة ربيكا. إن هذه الأمور تقتضي وقتاً طويلاً.

اغتاظت ربيكا من كلامه وقالت:

ـ لا تحتاج إلى هذا الوقت ماثيو. ألست رجلاً؟ ما اعتقدتك ستجد الأمر على هذه الصعوبة.

ضحك ضحكة صغيرة أزعجت ديانا ثم ردّ:

ـ لم تشعر ديانا بالقدرة على تحمل ذلك العبء.

تكدر وجه ربيكا وسألتها:

ـ هل هذا صحيح يا ديانا؟ كنت تعانين من المرض وتخفين ذلك عني؟.

نظرت إليه بعينين تنمان عن الحقد والضغينة وقالت:

ـ بالطبع لا ياعمتي.. كل ما في الأمر أن أعصابي كانت متعبة قليلاً.

ـ لكنك لم تخبريني، هل يعرف غيارمو ذلك؟ وهل قام بعلاجك؟.

ـ رباه، ليس الأمر خطيراً. ما كان على ماثيو إخبارك.

فسأل بتهكم:

ـ ولم لا؟ أليس إخبارها أفضل من أن تسيء الظن فتحسبنا لا نرغب في إنجاب الأطفال.

اغتاظت ديانا كثيراً وقالت:

ـ يجب أن نذهب الآن، فنحن لا نريد أن نرهقك يا عمتي.

ـ آه حسناً.. هل ستأتي لزيارتي ثانية يا ماثيو؟

ابتسم لها وداعب خدها بيده وهو يقول:

ـ بكل تأكيد، إن أردت رؤيتي آتِ طبعاً.. أنا تحت أمرك.

ـ هيا ماثيو علينا الذهاب.

ـ كما تريدين.

عندما أوى كل منهما إلى فراشه تلك الليلة توجهت إلى الباب الفاصل بين الغرفتين لتتأكد منه بنفسها فوجدته مغلقاً وهذا يعني أنه أغلقه بنفسه لأنها تركته مفتوحاً عندما نزلت لتناول العشاء.

كان من عادتها أن تبدل ملابسها في غرفة النوم ولكنها اليوم حملت قميص النوم ودخلت إلى الحمام وأقفلت الباب خلفها بإحكام.

وعندما عادت إلى غرفتها، وجدت الباب كما كان فمدت لسانها بسخط. ماذا عليها أن تفعل؟ إن هي فتحت الباب ظنّ أنها تريد التحرش به وهذا آخر ما قد تفكر فيه. ولكن ربماأقفل الباب حين بدّل ملابسه ونسي أن يفتحه. إن كان يريد الباب مفتوحاً فليفتحه بنفسه.

مشت على أطراف أصابعها وراحت تنصت على الباب فلما لم تسمع صوتاً أوت إلى فراشها.

www.elromancia.com

رأت من خلال الظلام خيطاً من النور منبعثاً من تحت الباب الفاصل بين الغرفتين فتساءلت إن كان قد نام تاركاً النور مضاءً أم أنه ما زال مستيقظاً.

انبطحت على بطنها علّها تنام. ولكن كيف يطرق النوم جفنيها وعقلها ما زال يفكر في ما قد يفعله ذلك الرجل الغريب. ماذا لو طالب بحقوقه؟ ماذا لو فتح ذلك الباب ودخل غرفتها يريد اخضاعها لشهواته؟ ماذا ستفعل حينئذٍ؟ هل تطلب المساعدة ولكن من سيساعدها؟ فهو زوجها.

سبق أن أدهشت تانيا حين طلبت منها ديانا توضيب غرفتين متجاورتين والمشكلة ليس مع تانيا إنما مع العمة إن علمت بهذا الترتيب.

فقد تسأل وهي المعروفة بتدخلها في خصوصيات الآخرين هذا الغريب عن علاقته بابنة أخيها وعندئذٍ سيخبرها بأن ديانا منعت عنه نفسها.

وهنا الكارثة!

استلقت على ظهرها من جديد وراحت تعض على شفتها. اختفى خيط النور كلياً. لقد أطفأ النور. هل نام الآن؟ ارتعش جسمها مع أن الليلة كانت دافئة جداً. ربما كان واحداً من أولئك الناس الذين يغفلون ما إن تلامس رؤوسهم الوسادة تناولت سيجارة وراحت تدخنها: ها هي ديانا مستلقية هنا تحت رحمة التأملات المخيفة، بينما يغط هو في سباتٍ عميق فرحاً بهويته المكتشفة حديثاً.

* * *

٦ ـ حائرة...

في الأيام القليلة التالية، بدت الأمور وكأنها تسير على خير ما يرام، فقد وجدت ديانا أن ماثيو الذي زعمته زوجاً لها، يستمتع بوقته في ذلك المكان، لذا عرضت عليه أن يقوم بجولة في ضواحي البلدة المحيطة بالقصر.

كان آنتون... ذلك الصبي الذي رافقها في زيارتها الأولى للإرسالية.. على أهبة الاستعداد وبما أن ماثيو بدا ماهراً في ركوب الخيل، فما عاد هناك من مشكلة. فالتنقل على ظهور الخيل كانت أكثر وسيلة معتمدة في المنطقة. ظن بادئاً أنها سترافقهما، غير أنها نجحت في إقناعه بعدم قدرتها على الذهاب بعد أن اختلقت حججاً كثيرة منها أن وضع عمتها الصحي غير مستقر وأن أعصابها هي متعبة قليلاً.

لم تستفسر العمة ربيكا عن طريقه نومهما في الليلة الماضية فاطمأنت ديانا إلا أنها ظلت تشعر ببعض الخوف. فهو ليس ممن يسلمون بالأمور دون التدقيق والاستفسار وكانت في بعض الأحيان تتمنى لو يكشف لها عما يجول في فكره إذ أن لعبة القط والفأر قد أتعبتها وأرهقت أعصابها.

حتى الآن أصبح يعرف كل ما يتعلق بشخصيته الجديدة

www.elromancia.com

تقريباً وقد حارت ديانا فيما إذا كانت هويته الجديدة ستعيق تقدمه صحياً.

ذعرت ديانا فجأة حين دخلت كلوديا غرفة ربيكا بينما هي عندها ترى طلباتها.

ـ ثمة فتاة شابة تريد التحدث إليك يا سنيورا.

ـ فتاة شابة؟ من هي؟.

ـ إنها السنيوريتا أغيري... انطونيا أغيري.

دُهشت ديانا لأن تلك الشابة كانت صديقتها منذ أيام الدراسة، وقد مضى زمن طويل منذ أن انتقلت مع عائلتها إلى الولايات المتحدة.

ـ نعم، أعتقد أنه الاسم الذي سمعته يا سنيورا. هل أدعوها للدخول إلى هنا؟.

ـ لا، لا، يا كلوديا... سأنزل حالاً.

كانت انطونيا آغيري منتظرة في صالة القصر، وهي كما تبدو الآن امرأة جميلة وجذابة، شعرها الأسود الطويل مربوط بشريطة.

أسرعت ديانا إليها تضمها إلى صدرها بحماس شديد وقالت:

ـ آنطونيا... أهذه أنت؟ رباه، ماذا تفعلين هنا؟

إلا أن أنطونيا قابلتها بحماس أقل:

ـ ألا يحق لي المجيء إلى هنا؟.

ـ لم أقصد ذلك ولكنها مفاجأة غير متوقعة. ظننتك في الولايات.

ـ هذا صحيح يا عزيزتي، ما زلت أعيش هناك، إلا أن

والدي قدم إلى ريو بمهمة عمل واقترحت عليه أن أرافقه لأمضي بضعة أيام في الوادي عند خالتي وحين أخبرتني خالتي ماورا أنك تنزلين عند عمتك قررت أن أزورك.

ـ أحسنت صنعاً. تفضلي.

ثم أجالت ديانا طرفها فإذا بكلوديا تقف على مقربة منهما تراقبهما فقالت:

ـ كلوديا اطلبي من تانيا تحضير القهوة.

قوّست المرأة العجوز كتفيها وكأنها ترفض ذلك ولكنها ما لبثت أن أومأت برأسها وخرجت بهدوء.

ـ من هذه؟ تبدو مخيفة.

ـ كلوديا؟ مخيفة؟ لا، لا أعتقد ذلك. لكنها أحياناً تتـ.. حسناً.. تتنصت... ولكن لا تكترثي لها، هيا حدثيني عنك. ماذا كنت تفعلين في الولايات المتحدة؟ ألم تتزوجي؟

ـ لا يا عزيزتي، ولكنني سمعت أنك تزوجت.

ـ آه، نعم تزوجت.

ـ لا تظهر عليك الحماسة يا صديقتي.

قالت انطونيا ذلك وهي ترفع حاجبيها بقصد الإغاظة.

ـ لا، مخطئة أنت. إنما.. إنما أردت أن أسمع أخبارك أنت وهي دون شك أخبار مثيرة.

ـ بعضها فقط. فالطقس في كاليفورنيا رائع ولكنني في الأصل مونتراقيردية لذا أفضل البقاء هنا في الوادي لكنني متأكدة بأني سأشعر بملل كبير هنا. ففي الولايات المتحدة الكثير من وسائل التسلية. هناك الحفلات والمسابحُ وأشياء أخرى كثيرة

www.elromancia.com

كالمسرحيات والأفلام والمعارض.. لقد بثّ خبيرة في الفن الحديث.

صمتت انطونيا قليلاً ثم أردفت:

ـ ولكن ما هي أخبارك أنت؟ أخبرتني خالتي أن زوجك هنا في القصر. هل سأتعرف إليه؟ أنا متأكدة أنك أمضيت وقتاً ممتعاً أكثر مني.

أطبقت ديانا بأظافرها على كفها بعصبية تامة فأنطونيا تعيش في الولايات المتحدة، إذن من الطبيعي أن تكون قد سمعت أو قرأت شيئاً عن ماثيو سليس وربما رأت صورته. ولكنها ما لبثت أن استبعدت حصول الأمر الأخير لأن ماثيو غير مشهور على نطاق واسع لأن السباقات التي كانت يشارك فيها كانت محصورة في محيط أوروبا، والمتسابقون لا يصورون إلا إذا فازوا دائماً وماثيو قلّما فاز.

ـ سترينه بالطبع، ربما في يومٍ آخر لأنه غير موجود في الوقت الحالي.

ـ آه، يا لسوء حظي! لكن، هذا ليس مهماً، فأنا متأكدة أننا سنلتقي كثيراً خلال فترة إقامتي في الوادي.

بعد الانتهاء من احتساء القهوة سألتها:

ـ كم ستمكثين في الوادي؟.

ارتبكت ديانا ثم قالت:

ـ لا، لا أعرف، فأنا... ربما نبقى هنا بعض الوقت، فالطبيب غيارمو يقول إن هناك أملاً ضئيلاً في شفاء عمتي كلياً ولهذا لا أظنني أتركها وحدها في هذه الحالة.

ـ أفهم ذلك، ولكن أليس لدى زوجك أعمال وارتباطات تجبره على العودة إلى أوروبا؟.

ارتبكت ديانا وقالت:

ـ حسناً، إنه.. إنه لا يعمل. ليس مضطراً إليه فقد ترك له والده ثروة كبيرة.

انقبضت أعصابها حين نطقت بتلك الكذبة المتقنة، وودت لو اكتشفت عمتها حقيقة ماثيو المخادع قبل أن تقبل بتزويجه ديانا.

ـ آه، فهمت، أنت محظوظة ديانا ولكن أخبريني إذا أراد زوجك العودة إلى انكلترا، فهل تعودين معه؟.

أجابت ديانا «نعم» بصوت يكاد لا يُسمع ثم نظرت إلى الساعة في معصمها. كانت الساعة قد قاربت الثانية عشرة ظهراً وهو في الواقع موعد الغذاء. هل سيعود ماثيو عند الغذاء؟ راح قلبها يخفق مضطرباً لأنها لم تكن ترغب في أن يرى انطونيا لا اليوم ولا في يوم آخر.

نظرت انطونيا إلى ساعتها فقالت:

ـ علي الذهاب الآن.

ارتاحت ديانا بشكل غريب ولكنها أظهرت أسفاً شديداً وهي توصلها إلى الباب:

ـ رجاءً عودي إلى زيارتي.

ـ سأفعل يا عزيزتي، ولكن ليس قبل أن تأتي.أنت لزيارتي. فخالتي ماورا تقيم عشاءً على شرف بعض أصدقائها مساء غدٍ. لماذا لا تشاركيننا أنت وزوجك؟ سنسرّ بقدومكما طبعاً.

www.elromancia.com

ما إن فتحت ديانا فمها معتذرة عن تلبية الدعوة حتى سمعت صوت رجل عند الباب الكبير. نظرت انطونيا إلى ديانا تريد أن تسأل عن ذلك الصوت ولكنها فوجئت برجل طويل القامة منتعل جزمة عالية يدنو منها ناقلاً البصر من ديانا إلى أنطونيا.

أزعجتها رؤيته حين رأته يحدق إلى انطونيا وراح قلبها يخفق بقوة غريبة ولكنها تمالكت أعصابها قليلاً وتصنعت ابتسامة كاذبة.

ـ آه، أهلاً بك ماثيو... يا لهذا الحظ.. لقد جئت في الوقت المناسب لتلتقي.. صديقة قديمة!.

ـ صديقة؟ لي أم لك؟.

أجابت حانقة:

ـ صديقتي أنا طبعاً انطونيا هذا هو ماثيو سليس، زوجي.

صافحته انطونيا وهي ترشقه بنظرات مغرية وجذابة.

ـ أهلاً بك أنطونيا... لو علمت أننا سنستقبل ضيفة جذابة ولطيفة مثلك لما خرجت أبداً.

عضَّت ديانا على شفتيها بقوة وقالت:

ـ لم أكن أعرف أن انطونيا تريد القيام بالزيارة فإنا لم أرها منذ أربع سنوات.

ـ أتقطنين في مونترافيرد يا أنطونيا؟

ـ لا، فعائلتي تعيش في الولايات المتحدة منذ أمد قصير.

ـ وفي أي جزء من الولايات المتحدة بالتحديد؟ أنا أعرف الساحل الغربي كله.

راحت ديانا تنظر إليه دهشة.

ـ صحيح؟ هذا شيء جميل فنحن نعيش في سانتا باربرا.

ـ آه! سانتا باربرا، لقد أمضيت بعض الوقت في لوس أنجلوس.

بدت أنطونيا دهشة أما ديانا فظهرت مرهقة تعبة.

ـ كنت أحاول إقناع زوجتك بقبول دعوتي إلى العشاء مساء غدٍ.

ـ هذا رائع، وليس هناك ما يحول دون قبول دعوتك عزيزتي.

تمالكت ديانا نفسها ثم قالت:

ـ لا أظنني تاركة العمة في هذه الحالة.

ـ ولكن الممرضة بيترز ستلازمها مدة ساعتين.

لم تعد ديانا قادرة على خلق أي عذر فكان أن اجبرت شفتيها على الابتسام:

ـ حسناً شكراً لك انطونيا يشرفنا قبول الدعوة.

ـ هذا رائع في الثامنة إذاً.

قال ماثيو وهو يوصلها إلى الباب:

ـ اتفقنا.

بعد ذهاب انطونيا أرادت ديانا التحدث إلى ماثيو لتسأله عما يعرفه عن الولايات المتحدة ولكنها تراجعت فقد تثير أسئلتها شكوكه وربما عندئذٍ يعود إليه الماضي فيستعيد ذاكرته.

كان ماثيو يطفيء سيجارة في منفضة زجاجية فتطلع نحوها بعيون صامتة مزعجة وقال:

www.elromancia.com

ـ يا لهذه المفاجأة الجميلة، أرى نفسي محظوظاً لأنني عدت باكراً لألتقي بضيفة غير متوقعة!.

لم تتفوه ديانا بكلمة ولكنها وقفت قرب النافذة تنظر إلى الوادي.

ـ كم مضى على معرفتك بأنطونيا (سألها).

ظلت تنظر إلى الوادي لتخمد قلقها وتوترها. ما الذي يخيفها في هذا الرجل؟.

ـ كنا ندرس معاً في مدرسة واحدة.

ـ حقاً.

ما إن اقترب منها حتى ابتعدت عنه إلى طرف النافذة.

ـ ظننتها في مثل عمرك. هل هي متزوجة؟.

ـ وهل هذا يهمك؟

ـ لا تكوني هكذا ديانا فأنا فضولي بعض الشيء. وليس من داع للغيرة يا حبيبتي.

حملقت ديانا إليه وقالت:

ـ أنا لا أغار.

ثم اعتذرت منه لتخرج من الغرفة فلم تتحمل الإغاظة التي يسبّبها لها وتمنت ألا تزيد الأمور تعقيداً بظهور أنطونيا.

ـ «طبعاً، طبعاً» وتنحى جانباً بكل أدب وتهذيب. وخرجت ديانا من الغرفة.

في صباح اليوم التالي تفقد الطبيب غيارمو العمّة ثم توجّه إلى ديانا يسألها عن صحة زوجها.

ـ لم يتذكر شيئاً حتى الآن.

ـ لم يتذكر شيئاً؟! أمعقول هذا؟.

ترددت ديانا قليلاً قبل أن تجيب:

ـ حسناً أريد أن أسألك بعض الأسئلة.

نظر إليها غيارمو بعينين يقظتين.

فتوردت وجنتاها ثم راحت تقول:

ـ حسناً، أريد أن أسألك عما إذا كان بإمكانه تذكر أماكن زارها في السابق.

ـ أماكن؟ نعم أظن ذلك. ولكن لماذا تسأليني؟ هل تذكر مكاناً ما؟.

ـ آه لا، لا، فأنا لا... لا أريد أن أضع آمالاً لا طائل منها.

ـ هذا صحيح، ولكن هل تظنين أنه تذكر شيئاً؟.

ـ حسناً، اعتقدت أنه قال شيئاً جعلني أتساءل.

ـ فهمت!.... حسناً أقترح أن تراقبي وضعه بدقة، فإن أحسست أنه تذكر شيئاً ما، أي شيء، أخبريني به فوراً.

ـ طبعاً، سأفعل، أيها الطبيب.

ولكن بعد ذهاب الطبيب راحت تتساءل عما قد تذكره ماثيو. ألم يلاحظ ما قاله حين كانت انطونيا هنا؟ وهل حرّك ذكر كاليفورنيا شيئاً في ذهنه؟ وإن حدث ذلك فهل هذا يعني أنه بدأ يستعيد ذاكرته.

نضح العرق منها حين فكرت في إمكانية حدوث ذلك فقررت أن تكلم هاري لكي يعرض مبلغاً من المال على ذلك الرجل شرط أن ينسى ما حصل، ومبلغاً آخر ليكمل اللعبة.

www.elromancia.com

ولكنها بعد معاشرتها لذلك الرجل باتت متأكدة من رفضه اقتراحاً كهذا.

صعدت ديانا إلى غرفتها والإرهاق بادٍ عليها. لقد تحول فجأة كل شيء وبات صعباً ومعقداً. ألقت نفسها على السرير ثم تركت لدموعها الحارة العنان فانسابت غزيرة.

لم تغادر غرفتها عند الغذاء وحين جاءت كلوديا تسألها إن كانت تحتاج إلى شيء، ادعت أنها غير موجودة لئلا تراها كلوديا على تلك الحالة فتسارع إلى إخبار عمتها ولكنها خرجت من غرفتها عصراً تاركة القصر متوجهةً إلى الإسطبل.

أطلقت العنان لفرسها منطلقة من الساحة إلى المروج الخضراء والرياض الواسعة.

كانت الشمس قد بدأت تتوارى وراء الجبال العالية، ولكن الجو كان دافئاً، والهواء رطباً وعابقاً بأريج الزهور. حين اقتربت ديانا ورفيقها آنتون من الحقل المغروس بأشجار الصنوبر، أجفلت أسرابٌ من الطيور وهجرت أعشاشها وراحت تحلق فوق النهر الجاري.

سارت مدة نصف ساعة تاركة الفرس تقودها إلى حيث تشاء فاتجهت بها نحو النهر وراحت تتنقل بين الحشائش الخضراء ثم شقت طريقها إلى القصر. فقد غابت الشمس وبرد الجو بعض الشيء، لكن رأسها ارتاح قليلاً.

حينما وصلا إلى بوابة القصر وقف أمامهما شخص طويل يراقبهما وهما يدخلان وعندما اقتربا منه انقبضت أعصاب ديانا فهو ماثيو.. ذلك الرجل الذي ادّعت أنه زوجها.

تقدم منها ماثيو ليمسك الفرس محاولاً توقيفها:

ـ أين كنت؟.

رفعت ديانا كتفيها وأجابته باختصار: «أتجول».

ـ أرى هذا، ولكن أين كنت تتجولين؟.

ـ ليس في مكان محدد. لماذا تسأل؟.

ـ لقد انشغل بالي عليك خاصة بعدما أخبرتني كلوديا بامتناعك عن تناول طعام الغداء.

ـ لم أكن جائعة. هل أستطيع الذهاب الآن؟.

ـ انتظري لحظة تبدين قلقة. ما الذي يشغل بالك ديانا؟ ماذا هناك؟.

تنهدت ديانا قليلاً قبل أن تقول:

ـ رجاءً هلاَّ تركتني أذهب؟ لقد تأخر الوقت وأنا أريد الاستحمام وتبديل ملابسي.

ـ آه، من أجل دعوة العشاء، هذا ما سأفعله أنا أيضاً. ألهذا أنت قلقة؟.

ـ طبعاً لا.

وركلت الفرس في خاصرتها فصهلت الفرس معترضة.

ـ أرجوك، أفسح لي الطريق.

ابتعد عن طريقها مطلقاً سراح الفرس التي جرت إلى الساحة حيث ترجلت ديانا عن ظهرها وتوجهت إلى القصر. إلا أنه لحق بها وأمسك معصمها قائلاً:

ـ انتظري هناك شيء آخر.

وانتزع نظارتها كاشفاً عن عينيها المتورمتين ثم سألها:

ـ حسناً لِمَ كل هذا؟.

نظرت إليه نظرات ملؤها الحقد والغضب. كيف لرجل لا يعرف شيئاً عن نفسه أن يحيرها ويربكها دائماً؟.

قالت بغضب شديد تشد يدها للتحرر من يده ولكن بدون جدوى:

ـ هل ستدعني أذهب؟ سبق لي أن أخبرتك بأني أكره أن يلمسني أحد.

ـ نعم، أذكر هذا ولكن رغم ذلك عليك في بعض الأوقات تلبية ما يريده زوجك.

ـ ماذا تعني؟.

ـ أعني أنني أريد أن أعرف حالاً ما سبب بكائك.

ـ لا شأن لك بهذا.

ـ شأنك هو شأني أولاً. فأنت التي أعطيتني هذا الحق حين زعمت أني زوجك، هناك في الإرسالية.

حدقت إليه ديانا ثم سألته:

ـ ماذا.. تعني؟.

ـ ماذا تعتقدين أنني أعني؟

ـ لا أعرف.

ـ لا تعرفين؟.

رفع معصمها ونظر إلى نحافته ثم قال:

ـ ما هو قصدي يا ترى؟ أليس معروفاً؟ إن لي عليك حقوقاً.

اشتعلت النيران في وجهها وقالت:

ـ أرجوك! دعني أذهب.

سلط عينيه الرماديتين على عينيها حتى أحست بشيء ما يتحرك في داخلها:

ـ حسناً اذهبي!.

ترددت ديانا في الذهاب. لقد أخافها رفضه الفجائي كما أخافتها كلماته. هل بدأ يشك فيها؟ هل أثار تصرفها الريبة في نفسه؟.

ارتدت على عقبيها بسرعة متوجهة إلى القصر ومنه إلى غرفتها.

سحبت نفساً عميقاً وهي تشعر بالاختناق مما حصل منذ بضع دقائق. لقد تصرفت كفتاة حمقاء، حمقاء ومجنونة، وذلك حين سمحت لأحاسيسها بالتأثر في ما يقوم به رجل كذلك الرجل ماثيو سليس الذي كان يجد لذة في قهر النساء.

هل نسيت ما حصل لها بعد انعدام أحاسيسها، وعواطفها؟ هل يمكن أن تنسى في يوم ما التصرف الوحشي الذي لاقته من عواطف الرجال؟ إنه تصرف همجي جعلها باردة الأحاسيس والعواطف.

* * *

www.elromancia.com

٧ ـ رجل يدافع عنها

كانت خالة انطونيا أغيري تسكن مع زوجها في أقصى الوادي وكان زوج خالتها يشتغل في الزراعة، غير أنه تقاعد الآن فاستلم ابنه شؤون العائلة.

سارت ديانا والرجل الذي تسميه ماثيو مظللين بنور القمر المتسلل من بين الغيوم. وبدأ الطقس الدافىء يبرد شيئاً فشيئاً.

كان ماثيو يقود اللاندروفر بطريقة أزعجت ديانا ففكرت في أن تقول له ذلك غير أنها تراجعت عن رأيها لأنها تذكرت ادعاءها بأنه سائق سباق.

أمضت وقتاً طويلاً تحاول اخفاء آثار الدموع التي ذرفتها منذ زمن قصير وقد حرصت على أن ينسجم ثوبها المخملي الزمردي مع شعرها الذهبي الطويل.

سُرَّت العمة ربيكا حين عرفت أنهما خارجان معاً واعتبرت ذلك دليلاً على تفاهمهما ورضاهما.

استقبلتهما انطونيا التي بدت رائعة الجمال في ثوبها الحريري الأزرق الشفاف الذي أبرز جمال جسمها النحيف.

ـ أهلاً بكما... كنا ننتظر وصولكما، هيا، تعالا، سأعرّفكما إلى الجميع وبعد ذلك نفتتح العشاء، فأنا جائعة

جداً، وأنتما أيضاً على ما أعتقد؟.

كان بين المدعوين زوجان في منتصف العمر من عائلة كارفلوس وشاب فتيّ ـ هو صديق أنطونيا ـ يدعى رينالدو، وقد طُلب منه تشكيل الأزواج، فاختار ديانا رفيقة فكان بذلك أن حظيت أنطونيا بماثيو طوال السهرة.

لم تعر ديانا انتباهاً لغزل ذلك الرجل خشية أن تغضب أنطونيا، ولكن بعد مرور بعض الوقت تساءلت عما إذا كان هذا التوزيع قد دُبِّر له مسبقاً. فهي لم تعرف أنطونيا جيداً، أنطونيا الناضجة التي بدا واضحاً أنها معجبة بماثيو.

ولكن لماذا تهتم هي بذلك. إنه لا يعني لها شيئاً مهما خُيّل له وإن كان يقصد إشعال نار الغيرة في قلبها بمغازلته أنطونيا فقد أخطأ. ولكن على الرغم من هذا فقد شعرت بالغيرة تشتعل في قلبها وراحت حينئذٍ تصغي إلى غزل رينالدو بشكل ملفت للنظر.

اتخذت ديانا عند العشاء مقعداً بين مضيفها وبين رينالدو أما ماثيو فقد جلس أمامها بين أنطونيا وبين خالتها.

أثناء العشاء الذي لم تتناول منه ديانا إلا القليل القليل، علمت أن رينالدو كان يقيم في كيرانوفا، وأن والده مدير مصرف وأنه حديث العهد بالتخرج من الجامعة. وعندما راح يتحدث إليها عن هوايته في الغطس اندمجت بالحديث رغماً عنها.

ـ لا يزال العديد من حطام السفن الاسبانية في قعر المحيط. وإني أحلم بأن اكتشف يوماً حطاماً يزخر بسبائك

www.elromancia.com

ذهبية وصفائح فضية ومجوهرات والماس... وعندئذٍ سأصبح رجلاً ثرياً.

- ولكن عليك إن وجدت شيئاً كهذا أن تخبر السلطات؟.

- ليس ضرورياً، ولكن كما تعلمين إن ثمن هذه الأشياء يرتفع باستمرار وحين يُكتشف الحطام أولاً تحدد القيمة وتقسّم بين الحكومة وفريق الغطاسين.

- فهمت، هذا مدهش حقاً.

- نعم إنه كذلك. وبعيداً عن هذا كله فرياضة الغوص مذهلة بحد ذاتها. ليتك تعلمين مدى الجمال الكائن تحت البحار والبحيرات....

قاطعته أنطونيا مقهقهة:

- أخشى أن تقتنع ديانا بمرافقتك في إحدى المرات مع أنني لا أتخيلها ترتدي بدلة الغوص واضعة أنابيب الأوكسجين على فمها.

- ولِمَ لا أفعل؟.

رفعت أنطونيا حاجبيها الأسودين الرفيعين ونظرت إلى زوج ديانا ثم قالت:

- لَم أكن أعلم أنك تحب هواة الرياضة.

- ربما تتمتع زوجتي بمواهب خفية ولكن على كل حال أنا أوافق أنطونيا رأيها، فلا أظنك تهوين هذه الرياضة.

- بل أهواها...

ثم التفتت إلى رينالدو قائلة:

- هل تعلّمني هذه الرياضة؟

قال ماثيو غاضباً:

- إن كنت تريدين التعلم أعلمك أنا.

- أو تعرف أنت كيف تغوص؟.

فقاطعتها أنطونيا:

- أما كنت تعلمين بأنه يجيد الغوص.

- لا، لم أكن أعرف.

أجابتها ديانا تلك الإجابة ثم وجهّت نظراتها الغاضبة إلى ماثيو الذي لم يأبه بها أو بغضبها.

- وهل من الضروري أن تعرفي، فلَم يسبق أن تكلمنا عن هذا الموضوع؟.

حولت ديانا بصرها إلى طبقها ثم لم تلبث أن أشاحته جانباً لأن شهيتها تبخرت كلياً.

ماذا قصد حين قال إنه يجيد الغوص؟ هل تذكر شيئاً آخر؟ هل بدأت ذاكرته تعود إليه من خلال الأحاديث الدائرة حوله؟.

بعد انتهاء وجبة الطعام توجهوا إلى غرفة الجلوس.

فتحت أنطونيا النوافذ الطويلة المطلّة على ساحة صغيرة أمام البيت واقترحت عليهم أن يرقصوا هناك. وبما أن ماثيو لم يرغب في الرقص فقد ألحت على رينالدو أن يراقصها.

سألت خالة أنطونيا ديانا:

- هل ستمكثين طويلاً عند عمتك؟.

- لست متأكدة، ربما حتى تشفى عمتي..

- هل فاجأتكم أنطونيا بزيارتها؟

- نعم، لقد فاجأتنا! فأنا لم أرها منذ وقت طويل.

www.elromancia.com

قالت السيدة «هذا صحيح».

ثم نظرت إلى الساحة تراقب ابنة أختها وهي تعلم رينالدو رقصة جديدة، وتابعت تقول:

ـ أشعر بفرح كبير حين أراها سعيدة. فقد أمضت وقتاً كئيباً في الآونة الأخيرة.

ـ آه، لكنها لم تخبرني بذلك!.

ـ لا، لن تفعل أبداً، فما أصابها قد يصيبها في أي وقت.... لقد تعرفت أنطونيا إلى ذلك الرجل المحترم وأحبته حباً جنونياً. لو أنك تعرفينها جيداً لأدركت شدة إخلاصها للذين تتعامل معهم لقد أحبت ذلك الرجل باخلاص لا مثيل له ولكن لسوء حظها كان متزوجاً وربّ عائلة ولم تكن أنطونيا تعرف ذلك بالطبع لذا توقعت أن يأتي خاطباً ولكن ما الذي حصل؟ لقد ضجر من أنطونيا وعاد إلى زوجته.

ـ آه، إني جداً آسفة.

ـ نعم كان حظها سيئاً للغاية، أسوأ حظٍ على الإطلاق! وأنطونيا شابة لطيفة.. جميلة جداً! لم يخطر ببالها أنه سيتلاعب بها.

ـ كان أميركياً؟.

ـ أعتقد ذلك، ولكنه من أصل لاتيني..

تنهدت ديانا ثم نظرت إلى أنطونيا التي لا تبدو كسيرة القلب.

ـ يسرني أنك سعيدة بزواجك، ربما تحسدك أنطونيا على هذه السعادة.

اصطنعت ديانا ابتسامة باهتة وفضلت ألاّ تكثر من الكلام عن علاقتها بماثيو.

فرحت ديانا كثيراً حين أوشكا على العودة إلى القصر فقد كان رينالدو خلال الربع ساعة الأخيرة يقنعها بمرافقته في نزهة على ظهر الخيل في الأيام القليلة القادمة، ومع أنه اقترح أن يذهبوا مع أنطونيا وزوجها إلا أن ديانا لم تظهر أقل حماسٍ للمشروع.

حين توارت أضواء منزل آل كورك لوت ديانا أصابعها وقالت:

ـ لماذا قلت إنك تجيد الغوص؟.

لم يلتفت ماثيو إليها بل أبقى عينيه على الطريق.

ـ وهل من مانع؟.

ـ لا، سوى أنك لا تجيد الغوص.

نظر إليها الآن غير أن نظرته لم تؤثر فيها لأن الظلمة أخفت احمرار وجهها.

ـ لا أجيد الغوص؟.

ـ لا، وهل ظننت أنك تجيده؟

سحب نفساً عميقاً وتنهد ثم قال:

ـ ليس من الضروري أن أجيد الغوص.

ـ إذاً، لماذا ادعيت ذلك؟.

ـ لأنني لن أسمح لشاب إسباني جميل أن يعلم زوجتي شيئاً!.

كانت ديانا تتوقع منه أشياء كثيرة إلاّ ما قاله الآن. حملقت

www.elromancia.com

إليه دهشة:

- ماذا قلت؟.

- لقد سمعتني. أنا فاقد الذاكرة نعم ولكنني لست أحمق.

- كيف تجرؤ على انتقاد تصرفاتي بعد الطريقة التي تصرفت بها أنت هذا المساء؟.

ثم عضت على شفتها من شدة غيظها. لم تكن تعني ما تقول بل لم تكن تقصد إعلامه بأنها كانت تراقبه طيلة السهرة ولكن ما حصل قد حصل ولا سبيل للتراجع.

قال ماثيو بلهجة ساخرة.

- إذاً غرت علي؟ .

- لست غيورة ولكنني لا أظنك تملك الحق في توجيهي أو في اختيار نشاطاتي!.

- لا بل أملك كامل الحق، فأنت زوجتي، اللعنة ألا تذكرين ذلك؟.

نظرت إليه ديانا غاضبة وحانقة. فلم تعد تعرف كيف تصلح ما تفوهت به.

- أنا... لا أذكر أنك مهتم بالأمر لهذه الدرجة!.

شدّ أصابعه على المقود:

- صحيح؟ لا أعتقد أن زواجنا كان هكذا قبل حادث الطائرة.

- ماذا تقصد؟.

- قصدي واضح، أليس كذلك؟ فنحن لا نتصرف كزوجين متحابين، أليس هذا صحيحاً؟

ضغطت ديانا بكلتا يديها على خديّها وقالت:

- لقد شرحت...

- آه، لا.. لم تشرحي بل إن ما قلته غير مقنع.

ثم تحولت نبرته وغدت قاسية بعض الشيء:

- هل تتوقعين مني أن أقبل بكل ما تقولين دون أن أسألك شيئاً؟.

بلعت ديانا ريقها والارتباك بادٍ على وجهها. لقد أوقعت نفسها في مأزق ولم تعد تعرف سبيلاً للخروج منه.

- وكأنك تقول إننا نتصرف بطريقة مختلفة عن الطريقة التي يتصرف بها سائر المتزوجين. ألا تعلم أن الزواج المثالي انتهى في هذا العالم المتحضر؟

- تعترفين بأن زواجنا ليس مثالياً؟

- آه، هل ستتابع هذا الحديث السخيف...

- أظن ذلك. فمن حقي أن أعرف وضعي معك!.

راحت ديانا تتنفس بسرعة وكأنها قامت بعملٍ متعب:

- آه، أرجوك. إني مرهقة. إني.. إني لا أعرف كيف أرد على أسئلتك.

- الحقيقة أسهل رد.

- ماذا تعني؟

- أعني ما أقول، فإن كان هناك إشكال في علاقتنا، فأعلميني به.

كانت للحظات خلت قد اعتقدت أنه استرد ذاكرته. قالت:

- هذا لا يهم الآن على أية حال ما علينا إلا التصرف

www.elromancia.com

كالغرباء في الوقت الحاضر.

ـ لكننا لسنا غريبين فنحن زوج وزوجة لذا لا أفهم ما تقولين أو تفعلين خاصة وأنت ترفضين أن أقيم علاقة مع النساء الأخريات.

نظرت إليه ديانا بعينين حانقتين وقالت: «ما تفعله لا يهمني على الإطلاق».

ـ حقاً؟ إذاً، لماذا قبلت الزواج بي؟.

هبت ريح قوية لم يعرفا مصدرها وتحول الطقس فجأة وأصبح بارداً برداً قارساً. في تلك اللحظة تمنت لو أنها في البيت.

ولكنها لم تكن في البيت، بل هنا، على بعد مسافة ميل من.. وجهتهم. سألها ماثيو السؤال الذي طالما خشيت منه.

ولكنها فوجئت بلعناته على الطريق فقد غزلت الإطارات قليلاً في منعطف خطر. ثم عاد يسألها:

ـ لماذا؟ هل كنت تحبينني؟.

ـ أنا؟ نعم.. نعم.. طبعاً كنت أحبك.

ـ لقد قلت كنت أحبك! هل أفهم من هذا أنك لا تحبينني الآن؟.

عجزت ديانا عن الرد عليه لكنها أجابت قائلة:

ـ وكيف لي أن أعرف. ألم أقل لك إننا نتعامل كما يتعامل الغرباء.

ـ ومن المسؤول عن ذلك؟.

ـ ما من مسؤول. سنكون حين تستردّ ذاكرتك قد سوينا

الأمر. هناك عقد بيننا، يجب فسخه.

ـ حقاً؟ ولكن لماذا؟ من المؤكد أن الحل الطبيعي لمشكلتنا هو أن نتعامل بالطريقة التي يتعامل بها سائر المتزوجين.

أخذت ديانا نفساً عميقاً ثم قالت:

ـ حسناً، حسناً، لكن علاقتنا لم تكن طبيعية حتى قبل حادث الطائرة.

ـ فهمت، ولكن لماذا؟ ما الذي أفسد علاقتنا بهذا الشكل؟.

انزعجت ديانا من سؤاله. فهي لم تكن تحب أن تناقش أمورها الشخصية والخاصة مع رجل غريب عنها.

ـ هل سندع كراهية الأيام الماضية تعود من جديد؟ لِمَ لا ندع الأمور تسير على ما هي عليه؟ على الأقل، حتى تعني لك شيئاً.

ـ ولكنها تعني لي أشياء كثيرة الآن.

ـ ماذا تقصد؟.

ـ أقصد أنني أتذكر أن هناك مشاكل، مشاكل زوجية. آه، نعم. هذا يعني لي شيئاً بكل تأكيد!.

أرعبها كلامه. ما معنى هذا؟ هل بدأ يتذكر! أتذكر أنه متزوج أم كان ذلك بفعل اندماجه بشؤونهما الزوجية وذكرياتهما الخيالية التي أطلعته عليها بنفسها؟ لم تجد حلاً للأسئلة الكثيرة التي عجَّ بها رأسها ولكن فكرة أن يكون متزوجاً، أفقدتها القدرة على التركيز. أيكون لديه عائلة؟ وزوجة؟ ولكن أين زوجته؟ ولماذا لم تسأل عنه؟.

www.elromancia.com

ثم قالت بصوت مختنق «وما.. ما الذي تتذكره بالتحديد؟».

حاول أن يركز تفكيره ثم قال:

ـ أتذكر... أتذكر شيئاً بسيطاً.. أذكر مشهداً فيه عراك بيننا. هل كان هناك رجل آخر؟.

ـ لا!.

ـ لا؟.

وهز برأسه مفكراً ثم قال:

ـ ربما امرأة أخرى؟.

انفجرت ديانا غضباً ولكنها لم تظهر غضبها. كيف يجرؤ على السخرية منها بهذا الشكل وهو لا يتذكر شيئاً؟

ـ لا أريد أن أتحدث عن هذا الموضوع بعد الآن فلننحه جانباً.

ـ إذاً كان هناك امرأة ثانية؟ أتساءل عن السبب أبسبب برودتك أم لأنك لا تطيقين أن يلمسك أحد؟.

حملقت إليه ديانا وقالت:

ـ كيف تجرؤ؟.

ومن دون أن تدري ما تفعل صفعته على وجهه.. صفعة جعلته يرتد عن المقود فانحرف بذلك اللاندروفر عن الطريق وانزلق إلى حافة النهر.

زمجر غاضباً، وداس بقوة على المكابح حتى أوقف اللاندروفر.

ـ أيتها اللعينة!.

أرعبها الغضب الثائر في وجهه ففتحت الباب وقفزت من العربة.

راحت تمشي تحت المطر في الظلام الحالك دون أن تتوقف لتفكر في ما تفعل.

في غضون ثوان قليلة ابتلت بالماء. كانت العاصفة الشبه استوائية قد بدأت تهدأ وحين انزلقت على المنحدر الموحل بعيداً عن الطريق، فقدت وشاحها المطرز ولكن همها الأكبر كان أن تهرب من غضبه الثائر فقد احتشدت تجاربها المخيفة مع زوجها ماثيو في رأسها فازدادت رعباً إلى رعب.

راحت تئن والخوف يغشى قلبها ثم سارت وسارت ولمّا وصلت إلى ضفة معشوشبة راحت تركض وتقفز فوق الأرض الموحلة. ثم سمعته يناديها:

ـ ديانا، ديانا بالله عليك، لا تكوني حمقاء! عودي! ماذا تعتقدين أنني سأفعل بك؟ عودي!.

توقفت ديانا وقد انقطعت أنفاسها ثم قرفصت أرضاً لاهثة تسيطر عليها الأفكار المرعبة.

ماذا كانت تفعل؟ تهرب بعيداً بهذا الشكل؟ مم هي خائفة؟ ماذا قد يفعل بها؟.

لم تستطع التركيز على أفكارها من شدة خوفها. فقد انهارت أعصابها ولم يعد أمامها إلا الفرار، ولكن ماذا ستجني من ذلك غير الاصابة بالتهابات الرئتين أو بما هو أسوأ. تساءلت عما قد يكون مصيرها إن استسلمت لذلك القدر، ولكنها ما لبثت أن وجدت فكرة الاستسلام جنونية. لقد كانت مجنونة

www.elromancia.com

حين سمحت لذلك الرجل، لذلك النصاب، بأن يجرها هكذا.

كان آدم قد وجد مشعلاً في اللاندروفر فتناوله ثم راح يتسلق الضفة الموحلة وصولاً إليها إلا أنها لم تشعر به إذ كانت مأخوذة بأفكارها وخوفها، تريد ملازمة مكانها لئلا يجدها فهي لا تدري ما تفعل إن عثر عليها. ظنت أنها قادرة على العودة إلى القصر مشياً على الأقدام دون صعوبة كبيرة، غير أنها بدّلت رأيها حين تذكرت أنها ستصاب بنزلة صدرية فظيعة في تلك الطريق.

كان بحثه دقيقاً وهو يشق طريقه إليها. عندما شعرت به وقفت لأنها لا ترغب في أن يراها راكعة تحت قدميه.

وفجأة، ألقى الضوء على جسمها فرأى كيف شوه ثوبها المبلل شكلها، وعندما تكلم كان صوته غريباً وحانقاً:

ـ ماذا تظنين أنك تفعلين؟ بحق الله، أيتها المرأة، ستجلبين الموت لنفسك.

ارتعشت ديانا من الخوف أكثر منه من ثوبها المبلل.

ـ تعالي! عودي إلى اللاندروفر! قبل أن اقترف ما نندم عليه كلانا.

ترددت ديانا للحظات قبل أن تخطو خطواتها ثم قامت وتعثرت بجذع شجرة ولكنها أنقذت نفسها في آخر لحظة. ولأنه لم يحاول مساعدتها امتلأ قلبها كرهاً له، لأنها لم تجد فيه الرجل الشهم المحترم بل على العكس، وجدته خنزيراً وحشاً ضارياً كزوجها مائيو.

تعرضت إلى صعوبة كبيرة في اجتياز الضفة ولكنها وجدت

صندلها ووشاحها ملطخين بالوحل لذا لم تنتعل الصندل أو تضع الوشاح على رأسها، بل حملتهما في يد واحدة ثم حاولت جاهدة ارتقاء المنحدر أما هو فقفز إلى الضفة الثانية دون أية صعوبة تذكر، فتمنت لو يتعثر ويسقط على رأسه. سألها ساخراً:

ـ أتواجهين صعوبة؟

حدّقت إليه ديانا بغضب وقالت:

ـ آه، ابتعد عني.!

كانت على وشك البكاء، فلقد أتلف ثوبها الجميل ولو لم تأخذ حذرها لتمزق كلياً.

ـ كما تريدين.

ثم ابتعد عنها ولكنها لم تجرؤ على تركه يذهب.

ـ لا، لا أرجوك، أعطني يدك!.

نظر إليها نظرة طويلة تحت نور المشعل الخافت ثم تقدّم منها مادّاً يده إليها.

كانت يده دافئة وقوية جداً لدرجة أنه حملها وأوصلها إلى الضفة الثانية. فكرّت أن تستدير فجأة وتلتصق به كي تلوثه بالوحل من رأسه حتى أخمص قدميه، لكنها لم تجرؤ على فعل ذلك.

بعد ذلك راحت تسير والريح تنشر شعرها الذي كانت تبعده وهي تلحق به إلى اللاندروفر.

حين وصلا إلى القصر ترجل قائلاً:

ـ ابقي في العربة. سأحضر لك معطفاً لتصعدي إلى غرفتك

www.elromancia.com

وأنت ترتدينه. عليك أن تستحمي وتبدلي ملابسك أما أنا فسأعد لك شراباً ساخناً.

أرادت ديانا أن ترفض مساعدته ولكنها لم تستطع، وحين عاد والمعطف في يده، تناولته منه وأومأت برأسها شاكرة.

لم يصلا متأخرين كما توقعا فقد كانت كلوديا مستيقظة.

ـ سنيورا! ماذا حصل؟ هل حصل حادث ما؟

ثم تطلعت نحو ماثيو بذهول لكن لم يبدو عليه أي شيء، سوى أن كتفيه كانا مبللان بنقاط الماء المتساقطة من شعره السميك.

لم تعرف ديانا ماذا تقول، فنظرت إلى ماثيو بيأس وحزن.

ـ لقد نزلت السنيورة سليس من اللاندروفر لتبعد قرداً مجروحاً عن الطريق، فتعثرت لسوء الحظ في الظلام ووقعت على الأرض الموحلة.

اتسعت عينا العجوز وكأنها لا تصدق ما تسمع ثم سألتها:

ـ قرداً مجروحاً سنيورا؟.

ـ هذا ما قلته بالضبط. لماذا؟ ماذا اعتقدته أنه قد حصل؟ هل حملتك أفكارك الرومنطيقية بعيداً؟.

اشتعلت النيران في وجنتي كلوديا:

ـ بالطبع لا، لا أعرف ماذا أعتقد يا سنيور.

ـ حسناً والآن بعد أن عرفت هلا طلبت من تانيا أن تحضر لي بعض المياه الساخنة لأعد شراباً للسنيورا.

ـ حاضر سنيور.

كانت كلوديا مجبرة على الطاعة، رغماً عنها. نظرت ديانا

إلى الوجه القوي الملامح قبل أن تتوجه إلى غرفتها. كانت هي المرة الأولى التي تجد فيها رجلاً يدافع عنها. إنها حقاً تجربة مقلقة وغريبة.

* * *

www.elromancia.com

٨ ـ لا تعتذري!

خلعت ديانا ثيابها المبللة ووضعتها على السجادة الناعمة. كان الحمام دافئاً ومغرياً فوقفت تحت الرشاش مستسلمة للمياه الدافئة، التي ردَّت إليها حيويتها ونشاطها. بعدما جففت جسدها ارتدت غلالة نومها الحريري ثم تناولت معطفاً أزرق وألقته على كتفيها.

كان شعرها ما يزال رطباً لأنه كان طويلاً جداً، غير أنه استعاد لمعانه وحيويته حت بدت فيه ديانا كطفلة صغيرة.

فكرت في إذا كان عليها التوجه إلى الصالة أم البقاء في غرفتها، ولكنها في النهاية قررت النزول.

دهشت ديانا حين وجدت المدفأة موقدة، ولكنها أدركت أن شخصاً ما كان هنا منذ وقت قصير فنظرت إلى ما حولها وكأنها تفتش عن شيء ما ثم ما هي إلا ثوان حتى أطل ماثيو وقد بدَّل ثيابه فقد كان يرتدي بيجاما سوداء وقميصاً قطنياً قرمزي اللون فشعرت باضطرابٍ خفيف.

ربما استطاع هو نفسه أن ينسى تلك الصفعة في هذا المساء، ولكنها لم تستطع نسيانها وتمنت ولأول مرة منذ قدومها إلى القصر، أن تظهر كلوديا فجأة.

اقترب ماثيو منها دون أن تظهر على ملامحه مظاهر التهديد حاملاً في يده كوباً قدمه لها دون أن ينبس ببنت شفة. شكرته ديانا ثم تناولت الكوب من يده وراحت ترتشفه.

ـ حسناً؟ هل شفيت من الهيستريا الآن؟.

لم تجرؤ على النظر إلى وجهه، ولكن بعد هذا السؤال اضطرت أن تنظر إليه:

ـ أنا.. أنا لم أصب بهيستريا!.

ـ إذاً! ماذا تفسرين تصرفك اليوم؟ بحق الله! ما الذي دفع بك للقفز من اللاندروفر بتلك الطريقة الجنونية؟ ماذا فعلت لك؟.

اشتعلت النيران في وجنتيها ثم قالت:

ـ لقد.. لقد كنت فظاً معي بشكلٍ لا يوصف.

وقف يحدِّق فيها بعينين تبعثان إلى الاضطراب.

ـ لقد كنت قاسياً جداً معي و.. وحين انتقمت منك بالطريقة الوحيدة التي.. التي قدرت عليها.. رحت، رحت تتوعدني!.

ـ تقصدين الصفعة؟ ولكن كيف توعدتك؟ ... يا لهذه العبارة القديمة الحلوة!.

أطبقت ديانا شفتيها ثم عادت تقول:

ـ تعرف حق المعرفة أنني أغضبتك.

ـ حسناً.. أريني رجلاً ما لا يغضب حين.. حين تصفعه زوجته.

لمست ديانا السخرية في صوته فودَّت لو تصفعه ثانية:

ـ هل تجد الأمر مسلياً للغاية وهل تريدني أن أظهر كالمجنونة فأمزق ثيابي غيظاً!.

ـ لا تضعي اللوم عليَّ بخصوص تصرفاتك. أظن أن الأمر يبدو مسلياً.. بالنسبة لرجلٍ غريب.

كانت دائماً تصل معه لنتيجة خائبة. وبدون أي جهد استطاع أن يثيرها لدرجة أن تفكر بالانتقام وكأنها طفلة.

وفجأة وبهدوء تام، وضع يده على رأسها ممسكاً بخصلة من شعرها فلّما أحجمت عنه ديانا منعها من الهرب هذه المرة.

ـ ما بك؟ لماذا ترتجفين هكذا كلما اقتربت منك؟ أنا بكل تأكيد لا أقترف جريمة حين ألمس شعرك! ما الذي بدر مني حتى تكرهينني إلى هذا الحد؟.

حاولت ديانا تحرير شعرها من بين يديه ولكنه لم يدعها تذهب:

ـ لقد.. لقد أخبرتك... أرجوك دعني أذهب!.

تجاهل كلامها وراح يتأمل جسمها الطويل المختبىء تحت قميصها الجميل.

ـ إنك جميلة جداً يا ديانا لذا لا يمكن وأنت على هذه الدرجة من الجمال أن تكوني باردة.

خفق قلبها بشدة وقالت تتوسله:

ـ أرجوك، دعني أذهب.

وشدت رأسها تحاول التحرر من بين يديه فتألمت كثيراً وصرخت قائلة:

ـ دعني! إنك تؤلمني.

تناول الكوب من يدها حين حاولت أن تضربه ولوى ذراعها خلف ظهرها، وشدها إليه بحيث أصبح جسمها ملتصقاً بجسمه فأحست عندئذٍ بعضلاته النافرة تحت ثيابه. ثم قال بصوت أجش:

ـ لا تقاوميني!.

ومال عليها يعانقها فثار جنونها، وراحت تدير رأسها من جهة إلى أخرى تدفع صدره عنها بيدها الأخرى وهي تشعر بحرارة جسده المتقدة تحت قميصه الحريري. قاومت وقاومت، ولكنها لم تنجح إلا قليلاً، وحين أمسك رأسها بكلتا يديه وأطبق عليها كما يطبق الحيوان على فريسته استحوذت عليها موجة من المشاعر والأحاسيس العاطفية التي لا عهد لها بها سابقاً.

راح يعانقها عناقاً حاراً تلو الآخر حتى أحست بأنها فقدت الرغبة في الهرب منه. ولكن حين راحت أصابعه تنزع قميصها الحريري عن كتفيها تنبهت من غفوتها.

فصرخت صرخة مشبعة بالندم ثم راحت تلف رداءها حول جسمها وتنظر إليه بعينين معذبتين.

ـ كيف تجرؤ على هذا؟.

استطاع بصعوبة واضحة السيطرة على نفسه ثم دنا من الموقد قائلاً:

ـ على ماذا؟ على معانقة زوجتي؟ أين الضرر في ذلك؟.

ابتعدت عنه قائلةً:

ـ سأخلد إلى فراشي.

أجابها ساخراً.

ـ فكرة عظيمة!

نظرت إليه غاضبة وقالت:

ـ ماذا تعني؟

ـ إنك مولعة بهذا التعبير. ما تظنين أني أعني؟.

ـ لا.. لا أعرف.

ـ بل تعرفين ديانا. أنا رجل لا حيوان أليف. إنني أريدك.. أريدك! وستكونين لي.

ظهر الخوف في عينيها وهي تقول:

ـ لا.. تستطيع.

ـ لن أستطيع؟ لقد نسيت شيئاً مهماً يا ديانا. منذ دقائق قليلة، حين كنت أحملك بين هاتين اليدين، استسلمت لي، لقد أردتني تماماً كما أردتك فهل تظنين أني لم أشعر بذلك؟.

ـ لا، ليس صحيحاً أبداً.

ـ صحيح. لا تنكري يا ديانا وهل نسيت أن الرجل لا يستطيع الخلود للنوم إن لم يشبع رغبته؟.

حارت ديانا كيف ترد عليه، فقالت:

ـ أنا.. أنا لا أحتمل هذا.. حسناً.. حسناً لقد استجبت قليلاً أنا.. أنا آسفة.

مشى نحوها ببطء قائلاً:

ـ لا تعتذري. إنه أفضل ما حدث في ظروفنا هذه. ربما هذه هي فرصتنا التي كنا ننتظرها.. الفرصة التي قد تعيد علاقتنا إلى حالتها الطبيعية.

صرخت ديانا «لا» بصوت عالٍ وبسطت يديها أمامها وكأنها

تخشى أن يأخذها بين ذراعيه مجدداً:

ـ لا، إنك مخطىء.. فأنا... أنا لست قادرة...

ـ آه... ولكنك تقدرين يا ديانا!.

ثم قبض على معصمها وشدها إليه بقوة، فلهثت بخوف شديد ولكن فجأة تناهت إليهما خطوات سريعة. كانت الممرضة بيترز التي قالت بلغتهم الخاصة:

ـ السيدة الكبيرة تعرضت لأزمة حادّة.

ـ ماذا قالت؟

أطلعته ديانا على ما قالته الممرضة بيترز فسألها حينئذٍ:

ـ أين نجد الطبيب غيارمو؟.

ـ أخشى أنه ليس هناك هاتف!.

قاطعتها الممرضة قائلة باللغة الانكليزية:

ـ ربما يستطيع السنيور أن يحضر الطبيب! سأعود إليها، يجب ألا نتركها وحدها.

ـ... سآتي معك.. ماذا ستفعل ماثيو؟.

اسودت عيناه للحظات حين تذكر غضبه ثم ابتعد وهو يقول:

ـ سأحضر الطبيب كما قالت الممرضة.

وخرج من الصالة بعد أن أخذ معطفه من الخزانة.

كانت الممرضة بيترز منهمكة بالاعتناء بمريضتها أما ديانا فجلست تنتظر الطبيب والأفكار المؤلمة تجول في ذهنها.

إن ماتت عمتها الآن، فسيكون ذلك عقاباً لها على أسلوبها في مواجهة الصعاب. ومع أنها حاولت أن تبعد أفكارها عن

www.elromancia.com

ذلك الرجل لكنها لم تستطع ألا تذكر استسلامها له. فكرت طوال الليل في الإقلاع عن فكرة اطلاعه على الحقيقة. ولكنها فطنت إلى ما قاله عن تذكره أموراً زوجية فأحست بقشعريرة تسري في جسدها. لا بد أنه كان متزوجاً، فهو رجل جذاب ومن المستحيل ألا تكون هناك امرأة ما قد أشركته بحبها، إذاً، ماذا تفعل؟.

كان الطبيب غيارمو كفوءاً وقد أوحى لهم وجوده بالاطمئنان وبقي ساهراً معهم إلى جانب العمة.

فجراً تحسنت قليلاً حالة العمة ربيكا التي كانت تغرق في سبات عميق. فقالت ديانا للطبيب:

ـ شكراً لك أيها الطبيب لا أعرف حقاً كيف أشكرك.

أعاد الطبيب عدته إلى الحقيبة وقال:

ـ إنه واجبي يا ديانا.

ثم ابتسم مردفاً:

ـ هيا يا ديانا تبدين تعبة يجب أن تنامي. ولكن أين زوجك؟ كان يسوق بطريقة جنونية حين أحضرني إلى هنا. صدقيني، لولا معرفتي أنه سائق ماهر ومتمرن، لما ركبت معه.

أحنت ديانا رأسها ثم غادرت الغرفة يرافقها الطبيب الذي نزل معها إلى الصالة حيث كان ماثيو ينتظرهما، وسأل:

ـ كيف حالها الآن؟

ـ ستعيش ولكنها ضعيفة شرحت لديانا أنها لن تستعيد قوتها السابقة قبل أيام قليلة. وكأنك لم تنم طوال الليل يا ماثيو؟.

هز ماثيو رأسه قائلاً:

ـ لا، أبداً. هيا بنا، سأقلك بنفسي إلى المنزل.

ـ لا حاجة إلى ذلك سآخذ اللاندروفر وأرسله مع أحد الصبيان فيما بعد.

ولكن ماثيو أصرَّ على أن يقلّه فقال الطبيب:

ـ حسناً، كما تريد ماثيو...

بعد ذهابهما توجهت إلى غرفتها حيث تمددت على سريرها تفكر...

* * *

سمعت طرقاً على الباب تبعه صوت كلوديا:

ـ سنيورا، سنيورا! لقد حان موعد الغداء! هل تنزلين أم تفضلين تناول طعامك هنا؟.

جلست ديانا مرعوبة ثم نظرت إلى ساعتها. إنها الواحدة تقريباً. لقد نامت ست ساعات.

قامت من السرير وفتحت الباب قائلة:

ـ سأنزل حالاً.

ـ لقد طلب مني السنيور ألا أزعجك غير أنني رأيت أن أوقظك الآن لتطمئني على عمتك.

ـ طبعاً، طبعاً. كيف هي الآن؟ هل رأيتها؟.

ـ نعم يا سنيورا، لقد رأيتها ولكنها ما زالت نائمة وقد أخبرتني الممرضة بيترز أنها أظهرت تحسناً.

تنهدت ديانا وقالت:

ـ آه الحمد الله. شكراً لك يا كلوديا لأنك أيقظتني. سألبس وأنزل حالاً.

www.elromancia.com

ارتدت ديانا سروالاً بنياً ضيقاً وقميصاً أصفر ثم ربطت شعرها وتوجهت إلى الصالة.

حين رأتها تانيا سألتها:

ـ متى تريدين تناول الغداء يا سنيورا؟.

ـ الآن إن أردت. لكن، أين السنيور؟.

ـ يقوم بنزهة على صهوة الجواد يا سنيورا، وهو لم يرجع بعد...

ـ حسناً يا تانيا، فلنتناول الغداء الآن.

بعد الغداء، قامت ديانا بجولة حول القصر.

كان بالها مشغولاً بما حصل ليلة البارحة. وكذلك بحالة عمتها التي ساءت للغاية ولم تعد تعرف كيف وبما تفكر. أين كان؟ ألم ينم أبداً؟ ولماذا تهتم هي بذلك؟ مع هذا، ما الذي حصل أصلاً؟ كل ما في الأمر أنه عانقها لقد فعل لها ماثيو، ماثيو الحقيقي، أكثر من هذا بكثير ولهذا كرهته فيما بعد. كم هو مختلف هذا الرجل الذي تعامله بهذه الطريقة القاسية البلهاء.

لم يسبق لماثيو سليس أن حرك فيها عواطفها وأحاسيسها بل كان يشعرها بأنها عديمة العواطف والأحاسيس. أما هذا الرجل المجهول، الذي لا تعرف حتى اسمه، فقد أشعرها، في الليلة الماضية، بروعة الحب بين الرجل والمرأة.

وصل الطبيب غيارمو في الساعة الثالثة ليرى عمتها التي بعد أن اطمأن عليها نزل إلى الصالة حيث ديانا.

ـ أترغب في تناول فنجان من القهوة أيها الطبيب؟.

ـ بكل سرور، ولكن أين ماثيو؟.

ـ يقوم بنزهة على الحصان.

نظر إليها بامعان ثم قال:

ـ أراك متعبة لذا أقترح عليك قضاء بضعة أيام خارج القصر.

ـ آه... لا يمكنني ذلك، خاصة بعد تلك الأزمة الحادة التي تعرضت لها عمتي.

ـ بل على العكس، الآن هو الوقت المناسب. لن تستطيع ربيكا رؤية أحد قبل عدة أيام فهي بحاجة للراحة والعزلة التامة.

ـ لا، لن اتركها.

ـ ولما لا؟ سأكلّم ماثيو بالموضوع. أنا متأكد أنه سيوافقني الرأي....

ـ ربما يوافقك لكني لا أستطيع...

ـ ولكنني أصر على ذهابك، فأنا لا أرغب في أن أعالج مريضين بدلاً من واحد. لقد توترت أعصابك بشكل غير معقول، أعرف هذا. بحق الله ديانا، امنحي نفسك فرصة!.

مشت ديانا في الغرفة وهي تقول:

ـ حسناً.. سأفكر في الأمر.

عندئذٍ وقف الطبيب مستأذناً.

بعد ذهاب الطبيب عادت ديانا إلى مقعدها فسكبت فنجاناً آخر من القهوة وراحت تحتسيه مفكرة.

مشت نحو النافذة وراحت تنظر إلى الوادي. كان المنظر رائعاً ولكنها لم تستمتع بجماله. ظلت سارحة بنظرها حتى رأت

خيّالين يقتربان من القصر. كانت الشمس قد بدأت توشك على المغيب ولكن رغم ذلك استطاعت أن ترى أن زوجها أحدهما.

ابتعدت عن النافذة خشية أن يراها ماثيو، ثم راحت تراقبهما من خلف الستارة وكأنها جاسوسة. عندما اقتربا من القصر أدركت أن انطونيا أغيري كانت رفيقة زوجها.

شعرت بانقباض قوي في معدتها. فماذا كان يفعل برفقة أنطونيا أغيري؟ أين كانا؟ وإلى أين يتجهان؟ لا يمكن أن يكون قد أحضرها إلى هنا.. إلى القصر! غير أنه فعلاً يتجه بها إلى القصر، فاشتعلت الغيرة في قلب ديانا.

فيما كانت تجلس هنا وحيدة، قلقة، غير قادرة على التفكير في أحد سواه، كان هو برفقة أنطونيا أغيري وهذا ما حطّم كيانها وأفقدها صوابها.

* * *

٩ ـ كذبة تجرّ كذبات

دون أن تنتظر رؤيتهما في ساحة القصر، أسرعت ديانا إلى غرفتها فاصطدمت بكلوديا التي قالت مندهشة:

ـ ما بك يا سنيورا؟ ماذا هناك؟.

ترددت ديانا قليلاً ثم قالت:

ـ لا شيء أبداً. كنت أقصد غرفتي، ليس إلا...

ـ حسناً يا سنيورا.

بدت الريبة على وجه كلوديا ولكن ديانا لم تأبه بها بل توجهت إلى غرفتها وبسرعة غريبة مرتعشة الجسد. الآن وبعد أن دخلت غرفتها أوصدت الباب باحكام تذكرت أن الباب المؤدي إلى غرفته ما زال مفتوحاً، فأسرعت وأقفلته هو أيضاً.

حاولت عبثاً السيطرة على أعصابها ومشاعرها المتقّدة. كيف يسمح لنفسه بأن يحضر تلك الفتاة إلى القصر دون إذنٍ منها؟ غفل عن بالها أنه يعتبر القصر بيته ولو مؤقتاً، وأنها منذ دقائق قليلة كانت تعتبر أنطونيا صديقة قديمة.

وأما الآن فهي لم تعد تعتبرها صديقة، بل احتقرتها لأنها خانت الصداقة التي كانت تجمع بينهما.

أرخت ديانا كتفيها تشعر فجأة بتعب وإرهاق شديدين.

www.elromancia.com

فعلى الرغم من السنين التي أمضتها في إنكلترا، لم تكن ذات خبرة بألاعيب أنطونيا، وتمنت للمرة الأولى في حياتها لو كانت امرأة لعوباً.

انتصبت واقفة وراحت تخلع بنطالها وكنزتها ملقية بهما على الأرض، فقد قررت أن تدّعي أنها نائمة إذا ما سأل آندرو عنها.

لكنها لم تجد الراحة حتى في سريرها. مرت دقائق عديدة ولم تسمع لهما صوتاً. لا بد وأنهما وصلا، لكن أين هما؟ وماذا تراهما يفعلان؟ هل أخبرتهما كلوديا بأنها نائمة؟.

انبطحت على معدتها بغضب وراحت تفكر في تصرفاتها الصبيانية الجبانة.

قامت من السرير وهي تصرّ أسنانها بقوة، وما إن بدأت تخلع ثيابها حتى سمعت صوت ماثيو يناديها:

ـ ديانا... ديانا هل أنت هناك؟.

تسمرّت ديانا في مكانها دون حراك ثم أجابته بصوت خافت:

ـ نعم، ماذا تريد؟.

أدارت مقبض الباب بين الغرفتين ثم تذكرت أنها أقفلته وعاد يناديها بصوت أجش.

ـ ديانا ماذا يجري؟.

ترددت ديانا قليلاً. لم تكن تريد أن يراها في قميص نومها الباهت وشعرها الأشعث.

ـ لا شيء يا ماثيو. لا أريد إلا الرّاحة.

ـ لا تكذبي! لقد رأتك كلوديا تصعدين إلى غرفتك منذ ربع ساعة!.

وأدار مقبض الباب ثم قال:

ـ افتحي الباب قبل أن أكسره!.

ارتجفت ديانا وقالت:

ـ اذهب ماثيو. أريد أن أنام.

ـ أيتها الحمقاء، لقد رأيتنا ونحن قادمين فكلوديا أخبرتني أنك كنت تهرعين إلى هنا خائفة!.

راحت ديانا تلعن كلوديا في قلبها ثم قالت:

ـ لست مجبرة على تنفيذ كل ما تأمرني به أنت، وقد قلت لك أريد أن أستريح.

ساد الصمت للحظات ثم أحست بكتفه وهو يدفع الباب فأدركت أنه جاد بكسر الباب إن لم تفتح.

ـ آه، انتظر!.

قالت ذلك، ثم أسرعت إلى الباب تفتحه.

وقف ماثيو ينظر إليها بغضب شديد ثم قال:

ـ إياك أن تقفلي هذا الباب في وجهي مرة ثانية.

ثم رمقها بنظرة قاسية وأضاف:

ـ والآن؟ ماذا هناك؟ لماذا لم تلبسي ثيابك؟.

حاولت ديانا أن تبقى هادئة:

ـ لقد شرحت لك. أنا متعبة وأريد الراحة.

نظر إليها غاضباً وقال:

ـ لماذا؟ لماذا الآن؟ هل رأيتنا ونحن قادمين؟.

www.elromancia.com

ادّعت الدهشة:

ـ نحن؟ من تقصد بنحن؟.

ـ لا تتلاعبي بي ديانا. فأنت تعلمين أن أنطونيا موجودة تحت.

ـ أنطونيا؟ صحيح؟ يا لها من مفاجأة! أين التقيتها؟ أم تراك قصدتها زائراً؟.

لاحظت ديانا أنه بدأ يلهث فخفق قلبها وتصاعدت نبضاته خشية أن يستغل الفرصة ليتم ما بدأه ليلة البارحة. ولكنه لم يفعل بل خرج مغلقاً الباب خلفه. إن ذهب الآن مع أنطونيا تكن هي المسؤولة عن ذلك.

ولكن سرعان ما خلعت قميص النوم وارتدت الكنزة والسروال ثم سرّحت شعرها وتوجهت إلى الصالة.

انقبض قلبها حين سمعت أنطونيا تضحك بأعلى صوتها، ولكنها سيطرت على نفسها وسارت إلى الصالة بخطوات وئيدة.

كانت أنطونيا تسكب الشاي فنظرت إلى ديانا قائلة:

ـ متى استيقظت؟ لقد أخبرني ماثيو أنك نائمة!.

ـ هفا صحيح. ولكن عندما سمعت أنك هنا لم يعد من اللياقة البقاء في غرفتي. أليس كذلك؟.

أجابت أنطونيا قائلة:

ـ نعم صحيح يا عزيزتي. والآن يا ماثيو، كم قطعة سكر...

غير أن ديانا قاطعتها قائلة:

ـ سأقوم بالمهمة نيابة عنك يا أنطونيا فمن آداب الضيافة

عندنا ألاّ ندع ضيوفنا يسكبون الشاي.. خاصة حين تكون سيدة المنزل موجودة.

وفجأة تحولت نبرة أنطونيا وباتت تنمّ عن الحقد والكراهية:

ـ وهل أنت سيدة البيت يا عزيزتي؟ ظننت أن عمتك هي السيدة هنا.

ـ حسناً، معك حق. ولكن بما أن عمتي مريضة جداً، فمن الطبيعي أن أقوم بكل الواجبات، أليس كذلك يا عزيزتي؟.

نظرت إلى ماثيو فرأت شرارات الغضب تلمع في عينيه، فاعتراها خوف شديد ولكنها تجاهلت غضبه وتصرفت بحرية تامة.

بعد صمت قليل سألتها أنطونيا:

ـ وكيف حال عمتك الآن؟.

ـ الحمد الله، لقد تحسنت قليلاً.

ـ الحمد الله.

اصطنعت ديانا ابتسامة شاحبة ثم قالت:

ـ هيا أخبريني يا أنطونيا كيف التقيت بزوجي؟.

ترددت أنطونيا قليلاً ثم قالت:

ـ لقد التقيته وأنا أقوم بنزهة هذا الصباح وعدنا معاً إلى البيت وتناولنا الغداء هناك. أليس كذلك يا ماثيو؟.

نظرت ديانا إليه قائلة:

ـ صحيح يا ماثيو؟ أنا وكلوديا.. توقعنا عودتك وقت الغداء.

www.elromancia.com

نظر إليها ماثيو بعينيه السوداوين وقال:

ـ حقاً؟ ظننتك ستستغلين فرصة غيابي لتعوضي ما فاتك من نوم ليلة البارحة.

احمرت وجنتاها وقامت تحمل صينية الشاي محنية الرأس مخافة أن يلاحظ أحدهما ذلك، ولكنها عرفت أنه لاحظ حياءها وذلك حين ابتسم لها ابتسامة ساخرة.

ما أشد ما كرهته في تلك اللحظة! فعلى الرغم من كل شيء، من فقدانه ذاكرته، من غضبه، من عدم معرفته نفسه، كان قادراً على جرحها أكثر من أي إنسان آخر، رجلاً كان أم امرأة.

عادت ديانا وجلست في مقعدها ثم قالت وهي تنظر إلى أنطونيا:

ـ ومتى ستعودين إلى الولايات المتحدة يا أنطونيا؟.

ـ لست متأكدة بعد. فمن المتوقع أن ينهي والدي أعماله في البرازيل في غضون أسبوع، وربما أعود معه.. أو...

وحوّلت بصرها إلى ماثيو. ثم أكملت:

ـ أو ربما أمكث مع خالتي وزوجها فهما يحبان أن أبقى معهما.

قالت ديانا:

ـ ربما ستشعرين بالوحدة.

ـ ولماذا أشعر بالوحدة؟ ما دمتِ أنت وماثيو هنا؟ وهناك أيضاً رينالدو. على فكرة، لاحظت أنه مأخوذ بك يا ديانا فأنا لم أره من قبل يتصرف كما تصرف معك.

أجبرت ديانا نفسها على المحافظة على الهدوء:

ـ أنت تبالغين يا أنطونيا، ولكن، ماذا أريد من رجل مثله وماثيو عندي؟.

التوت شفتا أنطونيا وقالت «نعم، معك حق».

لم يعد ماثيو يطيق تلك المجادلة المملة فقام وهو ينظر إلى ساعته قائلاً:

ـ لقد تأخر الوقت يا أنطونيا هيا سأرافقك حتى منتصف الطريق.

وقفت ديانا أيضاً وقالت:

ـ لا داعي لذلك ماثيو، فآنتون الخادم هنا وسوف يرافقها إلى بيتها.

ردَّ ماثيو باختصار.

ـ أريد أن أخرج لأشم بعض الهواء.

ولكنها لم تستسلم بل قالت «إذاً سأرافقكما».

ـ لكنك لم تفعلي ذلك من قبل؟.

ـ أعلم هذا، ولكني أحتاج إلى التمرين.

ملّت أنطونيا من ذلك الحوار فقالت:

ـ أستطيع العودة إلى البيت بمفردي.

قالت ديانا بحزم وهي تشعر بأنها فازت في هذه الجولة:

ـ ولكننا لا نقبل بذلك.

وضعت سترة سميكة فوق كنزتها وامتطت فرسها دون أن تتلقى مساعدة ولكن ماثيو قدّم هذه المساعدة لأنطونيا عندما امتطت فرسها ثم عمد إلى امتطاء حصانه المتعالي، ذلك

www.elromancia.com

الحصان الأصهب الذي يصبح شيطاناً حينما يطيب له ذلك.

كان الهواء عليلاً وكانت النزهة خارج القصر ممتعة. ضجرت ديانا من الخطوات البطيئة التي اعتمدتها أنطونيا فأطلقت العنان لفرسها تجري بها كيفما تشاء بعيداً عنهما، حتى قاربت ضفة النهر. كان كل شيء جميلاً خلاباً، فظلال أشجار الصنوبر القريبة من حافة الماء والروائح والعطور العابقة تسحر العقل. والمياه الجارية أقل حركة عما كانت عليه البارحة حين هطل المطر بغزارة حتى طافت ضفاف النهر بالمياه.

ألقت ديانا نظرة إلى ما حولها فرأت أنطونيا وماثيو يتبعانها، كما رأت آنتون قد لحق بها، وهو يتبعها كظلها.

ركلت الفرس في خاصرتها، فراحت تعدو مسرعة غير مكترثة بتصرفها الصبياني هذا فركوب الخيل بالنسبة لها كان تسلية طبيعية.

اجتازوا النهر إلى الضفة الثانية، حيث الأشجار تنعم بالبراعم والأزهار الملونة.

تأخر الوقت وبدأت الشمس تختفي وراء الجبال مرسلة ظلالاً واسعة على أطراف الوادي. أوقفت ديانا فرسها تنتظر وصول الباقين.

بعد لحظات وصلت أنطونيا وإلى جانبها ماثيو فنظر ماثيو إلى آنتون قائلاً:

ـ سيرافقك آنتون من هنا. أما أنا فسأرافق زوجتي.. إلى البيت.

ـ لا حاجة إلى ذلك، فليعد آنتون معكما. لا أحتاج إلى

مرافق... (أجابت أنطونيا بغضب).

عضت ديانا على شفتها. لقد حاولت أنطونيا أن تظهر غضبها. ألم يلحظ ذلك ماثيو؟

ورغم غضبها ذاك لم يقل شيئاً. فكان أن حيَّتهم أنطونيا وابتعدت على حصانها. تطلعت ديانا وراءها وتساءلت عمَّا إذا كان ماثيو نفسه قد ارتاح لرفض أنطونيا مرافقة آنتون لها، فعلى الأقل تكون قد وفَّرت عليه مرافقتها للبيت وحدها.

أشعرها هذا بألم في معدتها وعلى الأثر ركلت الفرس في خاصرتها مطلقة العنان لها حتى تعدو مسرعة.

كانت ديانا عند النهر تسقي فرسها حين وصل كل من آنتون وماثيو الذي ترجَّل عن فرسه وأمسك ذراعها ليديرها إليه ثم قال:

ـ لقد سئمت تصرفاتك يا ديانا. فمنذ وصول أنطونيا ظهر هذا اليوم، وأنت تقومين بمشهد تلو الآخر. لن أقبل بذلك! هل تفهمين؟.

حاولت ديانا أن تخلص نفسها منه ولكنها لم تستطع فعل شيء إزاء قوته.

ـ انك.. إنك تؤلمني! أنا لم أقم بأية مشاهد! ألا يحق لي أن أدافع عن نفسي حين أهاجم؟.

ـ ومتى هوجمت؟.

ـ حين أتيت إلى غرفتي، ودخلت رغماً عني..

ـ هذا صحيح. ولكن لو تركت الباب مفتوحاً لما حصل ذلك.

www.elromancia.com

ـ آه صحيح؟ ماثيو أنا لست طفلة.

ـ إذاً دعك من تصرفات الأطفال.

ـ كيف.. كيف تجرؤ على قول هذا؟.

ـ أجرؤ لأني ما عدت أقوى صبراً على تصرفاتك الحمقاء! تقولين إن زواجنا لم يكن طبيعياً قبل الحادث.. حسناً هاكِ المفاجأة! أنا أصدق ما تقولين!.

ـ ماثيو أنت لا تفهمني.

ـ هيا امتطي فرسك! سنعود إلى القصر!.

عندما وصلت إلى القصر، صعدت إلى غرفة عمتها، ومنها إلى غرفتها. كانت تشعر بأنه لم يفرغ غضبه كله، ولكنه لم يكن هناك. بل إن الباب الفاصل بين غرفتيهما مقفل بإحكام.

بعد انتهاء وجبة العشاء تلك الليلة، اختفى ماثيو، ولم تجرؤ ديانا أن تسأله عن وجهته فصعدت إلى غرفة عمتها، ولكن ما أعظم ما كانت دهشتها حينما وجدته قابعاً في مقعده يقرأ كتاباً. لم ترَ للمرضة بيترز وجهاً وحسبت أنه أعطاها فترة من راحة واستلم هو مكانها، وبما أنه لم يتفوه بكلمة، أدارت ديانا ظهرها وتوجهت إلى غرفتها.

في الصباح قامت من سريرها وارتدت سروالاً وقميصاً وسرّحت شعرها وأسدلته على كتفيها ثم نزلت إلى الصالة ومنها إلى غرفة الطعام.

وجدت ماثيو قد سبقها إليها، فاقتربت واتخذت لنفسها كرسياً على المائدة ثم قالت:

ـ صباح الخير! هل تفقدت عمتي؟ كيف حالها هذا

الصباح؟.

أبعد نظره عن طبقه وقال:

ـ إنها تتحسن ببطء..

ـ آه، آه الحمد الله. لم أكن أعلم أنك كنت تجلس معها مساء البارحة.

أنهى فطوره وأبعد الطبق جانباً.

ـ لم أكن أعرف أنه يجب أن أطلعك على تحركاتي مسبقاً.

احمر وجه ديانا وقالت:

ـ أنا لم أعنِ هذا! آه يا ماثيو. فلننسَ مشاجرات البارحة ولنتعامل مع بعضنا البعض كشخصين عاديين.

أحضرت تانيا القهوة وحين رأت ديانا، ابتسمت لها وسألتها:

ـ ماذا تودين أن تتناولي يا سنيورا؟

ـ لا أريد أن آكل شيئاً.. قهوة فقط.

قال ماثيو:

ـ ستموتين من الجوع إن سرت على هذه الحال فوجهك يبدو شاحباً.

قالت ديانا بحنق: «شكراً لك».

تنهد ماثيو وراح يقول:

ـ لا تكوني سريعة الغضب هكذا! إذا كانت أول مبادرة اتفاق ستُهَشم أمام المواجهة الأولى فليس من الضروري المضي فيها.

سكبت ديانا فنجاناً من القهوة وراحت تحركه:

ـ ليس هناك أية امرأة في الكون تقبل أن يقال لها إنها شاحبة باهتة.

ـ ولكنك بالفعل شاحبة وإن كان شحوبك هذا لم يغيِّر في جمالك البتة. بحق الله لا تسيئي فهمي. أنا لن أتابع ما بدأناه ذلك المساء! لقد وضع ما جرى بيننا حاجزاً من التوتر. أنا آسف ولكنني رجل وهذا هو عذري الوحيد. لقد فهمت أخيراً أنك حقاً تعانين من مشاكل في أعصابك، أنا آسف يا ديانا.

نظرت إليه بدهشة! فآخر ما توقعته منه الاعتذار.

ـ هدِّئي روعك ديانا، ولا تتصرفي كأرنب مذعور كلما اقتربت منك.

قبل أن تتفوه بكلمة، سمعت ضجة في الساحة ظهر بعدها الطبيب غيارمو:

ـ صباح الخير. أعلم أن الوقت باكراً جداً ولكنني مرتبط بزيارات كثيرة ففكرت في زيارة عمتك أولاً.

سُرَّت ديانا بقدومه المفاجيء ووقفت تحييه ثم عرضت عليه فنجاناً من القهوة ولكن الطبيب أجابها:

ـ لا شكراً لك سأرى عمتك أولاً. ديانا هل سترافقيني؟.

ـ طبعاً، طبعاً!.

عندما كان يرتقيان الدرج مدَّ الطبيب يده إلى جيبه وأخرج منه مغلفاً وسلمه إياها، قال:

ـ لقد وصلني هذا المغلف من الرئيس هذا الصباح، وقد وردت عليه ملاحظة أن أسلمك إياه على انفراد.

وقالت بشهقة:

ـ من هاري؟!.

نظر الطبيب إليها حائراً ثم سألها:

ـ هل من خطب يا ديانا؟ لماذا أخافتك هذه الرسالة إلى هذا الحد؟.

ـ لست خائفة أيها الطبيب، شكراً.. شكراً لك جزيلاً.. والآن أعذرني!.

فتحت المغلف بيدين مرتجفتين خوفاً فقد كانت تتوقع ما كتب في الرسالة. كانت كلمات هاري مختصرة ومؤدبة.

«لقد أجرت السلطات في ريو كشفاً عن ركاب الطائرة. فهل يمكنك المجيء إلى كيرانوفا بضعة أيام؟ ثمة ما لا أستطيع مناقشته في الرسالة. هاري».

لم يذكر هاري في رسالته أسماء، ولم يعرِّف عن الركاب أو عن الطائرة التي تحدَّث عنها. لقد كان فعلاً شديد الحرص والحذر.

مزَّقت ديانا الرسالة بغضب ورمتها في سلة المهملات. عليها أن تذهب إلى كيرانوفا بالطبع، فكيف ترفض؟ وهاري عاملها بتفهم وجَلَد.

نزلت ديانا إلى الصالة فوجدت كلوديا تخيط كعادتها فسألتها:

ـ أخبريني يا كلوديا، هل تعتقدين أن عمتي ستغضب إن قضيت بضعة أيام في كيرانوفا؟.

دهشت العجوز فقالت «كيرانوفا يا سنيورا؟».

ـ نعم، أريد أن أزور هاري ومارشا.

www.elromancia.com

- وهل الوقت مناسب للزيارات يا سنيورا؟.
- يرى الطبيب غيارمو الفكرة جيدة.
- ما الذي أجده فكرة جيدة؟
كان السائل هو الطبيب نفسه.
التفتت إليه ديانا فرأته يتوجّه إليهما.
- أن.. أن أزور هاري ومارشا؟.
رفع الطبيب حاجبيه مستغرباً ثم قال:
- ولكن حين طلبت منك ذلك البارحة قلت إنه لا حاجة بك إلى الذهاب..
- أعلم، أعلم.. ولكنني فكرت في الأمر.
- آه فهمت، أتمنى ألا يكون هاري قد أنبأك بأخبار سيئة.
تناول سيجاراً ثم أضاف: هل مارشا بخير؟.
- نعم، أعتقد ذلك. أعني.. نعم إنها بخير. لقد دعاني إلى زيارتهما. هذا كل ما في الأمر. لأكون برفقة مارشا على ما أعتقد.
كانت تلوي أصابعها خلف ظهرها وهي تتكلم. صحيح أنه حين يشرك إنسان ما نفسه في أحبولة من الغش والخداع، فإنه يصبح عالقاً فيها أكثر حين يحاول أن يخلص نفسه.
- أنا أوافق فمن الخير لك في ظروف كهذه طلب الراحة. ومتى تنوين الذهاب؟.
- ربما.. ربما غداً.
- هل أخبرت ماثيو؟.
- ليس بعد.

هز غيارمو رأسه وهو يشعل سيجار ثم قال:
- إنها فرصة مناسبة يرى فيها بقية البلدة.
- ماذا تقصد؟.
- حسناً، من الطبيعي أن يرافقك.
- لا! أعني.. أظنه يفضل البقاء هنا.
- بل عليه الذهاب، لأن في ذلك افادة له.
انزعجت ديانا كثيراً لأن الأمور لم تسر كما خططت لها. لقد استعانت بالطبيب ولكنها لم تعرف أنه سيقترح أن يرافقها زوجها.
- ما رأيك بفنجان من القهوة، الآن، أيها الطبيب؟.
- بكل سرور، شكراً لك يا ديانا.
قامت ديانا لتعدّ القهوة.. وحين عادت وجدت الأمور قد ازدادت تعقيداً. كان ماثيو واقفاً قرب الموقد يصغي إلى حديث الطبيب وهو يخبره أنها استلمت رسالة من ابن عمها هاري الذي يطلب منها أن تزوره.
سألها ماثيو وهو ينظر إلى وجهها الشاحب:
- هل هذا صحيح؟.
- نعم هذا صحيح.
وضعت صينية القهوة على الطاولة. ثم نظرت إليه بارتباك وقالت:
- أخبرت الطبيب أنك لا تود مرافقتي..
تعجب ماثيو من كلامها ثم قال:
- ولماذا أخبرته بذلك؟ يسعدني بالطبع الذهاب برفقتك؟.

ـ حسبتك تفضل البقاء هنا.

ـ لماذا؟.

ابتعدت ديانا وهي غير قادرة على تمالك نفسها من الانكسار أمامه. أرادت أن تصرخ ولكنها قالت عوضاً عن ذلك:

ـ حسناً. لِمَ لا؟.

لقد خرج الأمر من يدها ولم يعد عليها إلا الراحة لئلا تنهار أعصابها كلياً.

* * *

١٠ ـ اللعبة تنقلب

في صباح اليوم التالي، انطلقوا إلى المطار بواسطة اللاندروفر. كان صباحاً جميلاً بالفعل، الشمس فيه مشرقة والسماء زرقاء صافية.

كانت ديانا على معرفة سابقة بطيار الهليوكوبتر (الطوافة) فهو صديق قديم لهاري وخمّنت أن يكون هاري قد أوصاه أن يبقى هناك لحين تقرر هي المجيء.

طبعاً لم تعلم عمتها برحيلها، فهي كانت لا تزال نائمة وقد وعدهما الطبيب بأن يجدا العمة وقد تحسنت كثيراً لدى عودتهما.

سرت قشعريرة في جسم ديانا لدى سماعها ذلك. ليس السبب عدم رغبتها في أن تشفى عمتها، بل لأنها لم تعد متأكدة ما إذا كان هذا الرجل سيعود معها أم لا، فلو توصل هاري لمعرفة هويته الحقيقية، فمن الممكن أن ينكشف اللغز. تملكها خوف شديد من جراء هذا الاستنتاج. حاولت أن تخرج نفسها من ذلك الشعور، لكنها كانت تعلم أن القصر سيصبح مكاناً بارداً وموحشاً بدون ذلك الرجل الغريب.

تساءلت عما ستقول لعمتها حين تعود بدونه. هل ستقول

www.elromancia.com

لها إن ماثيو عاد إلى إنكلترا؟ أم تقول إنهما انفصلا ولن يعودا أبداً؟ بدا لها الوضع أكثر تأزماً عما كان عليه حين وصلت إلى مونتراڤيرد. تطلعت من نافذة الطائرة التي إلى جانبها غير قادرة على إيجاد حل ملائم لمشكلتها.

استطاعت ديانا خلال الأسابيع التي أمضتها في القصر أن تتخلص ولو لفترة قصيرة من ذكريات قساوة زوجها ماثيو، ولو أن عمتها لم تتلقَ تلك الأزمة الحادة لما أخفت عنها وفاة ماثيو ولما وصل بها الأمر إلى الغش والخداع.

لم تكن ديانا تتصور أبداً بأن كلمتها ستكون محط شك في يوم من الأيام. غير أن وجود ذلك الرجل في الإرسالية بدا لها كالمعجزة. لكن المعجزات لم تحصل، فعاجلاً أم آجلاً سيتحطم وهمها كلياً.

تطلعت ديانا نحو مقدمة الطائرة حيث كان ماثيو.. كان عليها أن تدعوه ماثيو حتى ذلك الوقت.. كان يشارك الطيار عمله ويتعلم منه معاني الأرقام والقياسات الكثيرة الموجودة أمامهما. كيف يستطيع رجل مثله أن يتقبل فقدان ذاكرته بهذه الروح المنشرحة؟ أليس قلقاً بخصوص ذاكرته؟ ألا يتساءل إن كان سيستعيدها أم لا؟ أليس عنده رغبة في التأكد من الهوية التي أعطته إياها؟.

هزَّت ديانا برأسها وهي لا تعرف سلاماً. إنه لغز بحد ذاته، ثم وجدت نفسها تتساءل عمن يمكن أن يكون؟ فهو ذكي ومثقف، وخبير بأشياء عامة كثيرة. إنه سائق ماهر وفارس أصيل وأكثر من هذا فهو خبير بشؤون الموسيقى والأدب. ما العمل

الذي كان يمارسه بحيث يمكنه الاختفاء لأسابيع عديدة دون أن يستخبر عنه أحد؟ يمكن أن يكون أي شخص، أي شيء.

فكرت في إمكانية أن يكون متزوجاً. من يمكن أن تكون زوجته؟ هل هي جميلة؟

بدأت معدتها تؤلمها فهي لم تتقبل فكرة أن تراه مع امرأة أخرى كما رأته مع أنطونيا ظهر البارحة. لقد أحست بالغيرة ولا مجال للإنكار، وعندها تأكدت أنها قد وقعت أسيرة حبه وأنها قد تفعل أي شيء لتبقيه بعيداً عن هويته الحقيقة.

كانت السيارة الرئاسية تنتظرهم حين حطت الطائرة في كيرانوفا.

وعندها فقط رفع ماثيو حاجبيه وسألها «أية خدمة؟».

نظرت إليه ديانا وقالت: شكراً. لقد بدا جذاباً في بذلته الرمادية الغامقة، تساءلت عما سيفعله ماثيو إن مدَّت يدها ولمسته.. أحست برغبة قوية في ملامسته. ولكن كان عليها أن تركز تفكيرها حتى تجد عذراً منطقياً لقيامهما بهذه الزيارة.

تقدم هاري منهما فسلّم على ماثيو ثم أمسك يد ديانا وقبلها قائلاً:

ـ أنا مسرور برؤيتكما! تفضلا إلى غرفة الجلوس فمارشا تتوق إلى رؤيتكما.

قامت مارشا، المرأة الشابة والجميلة ذات الشعر الرائع، وتوجهت إليهم ببطء.

ـ أهلاً بك ديانا.

وراحت تقبلها بحرارة ثم سألتها:

ـ إذاً هذا ماثيو!

نظرت ديانا إلى هاري بحدة فهز برأسه بينما كان مرافق ديانا يسلم على زوجة هاري وهو يبدي سروره بمعرفتها.

سألها ماثيو:

ـ ألم نلتق قبلاً؟.

أجاب هاري عنها:

ـ تذكرين ماثيو، أليس كذلك يا مارشا.

فحملقت مارشا إلى زوجها دهشة.

ـ طبعاً التقينا إنما منذ زمن بعيد ربما نملك ما هو مشترك، فأنا إنكليزية أيضاً.

ثم تنهدت قليلاً وأضافت:

ـ هل يمانع أحدكم إن جلست؟ فأنا.. أشعر بالتعب من كثرة الوقوف.

أجابت ديانا: «طبعاً لا».

لاحظت ديانا أن هاري ومارشا متفاهمين ومتحابين حتى بدأت تحسدهما على علاقتهما. نظرت إلى ماثيو فرأت تعبيراً غريباً على وجهه أيضاً. فتساءلت عما كان يجول في فكره.

كان كل شيء يبدو طبيعياً وهادئاً. ولكن ديانا شعرت بأن هناك ما يقلق كل من هاري ومارشا.

تناولوا الغداء ثم راحوا يتحدثون عن أحوالهم وأعمالهم. أشغلت ديانا نفسها كثيراً في شؤون وأعمال مارشا، فطفلهما الأول، الذي بدأ يحبو.. كان طفلاً بريئاً، جميلاً ومحبوباً.

انتهوا من الغداء وقاموا ليشربوا القهوة وأدركت ديانا أن

لحظة القرار الأخير قد حانت حين قالت مارشا إن هاري قد تحدث إلى المحامي تورنتو بشؤون عمتها وإنه يريد مناقشتها بذلك، ثم اقترحت أن يلحق بها ماثيو إلى غرفة الجلوس، ليتحدثا عن إنكلترا.

وافق الجميع على الاقتراح إلا أن ديانا أحست بعيني ماثيو تراقبانها بريبة.

دخل هاري وديانا إلى غرفة المكتب وهو يقول:

ـ حسناً، يا ديانا، ألم يسترجع ذاكرته بعد؟

ـ لا... هل عرفت من يكون؟.

أجاب هاري نعم ثم قدم لها سيجارة وحين رفضت، أشعل واحدة لنفسه ثم تابع:

ـ ألم يلمّح عمن يكون؟.

أجابت ديانا وقد نفذ صبرها:

ـ أرجوك يا هاري، أخبرني، من هو؟.

ـ اسمه آدم ونتربورن وهو مهندس متعاقد مع شركة مهندسي البناء في لندن. مستر كنت ويل مديرهم العام سيصل إلى هنا في غضون أيام قليلة.

أمسكت ديانا خديها بكلتا يديها ثم ارتمت على المقعد القريب من طاولة المكتب وقالت:

ـ لكن ألم يلاحظ أحد اختفائه قبل الآن؟ يا الله، لقد مضت أسابيع عدة!.

ـ علمت أن الحكومة البيرية متأزمة بعض الشيء.

ـ الحكومة البيرية! وما دخل الحكومة البيرية بهذا؟.

www.elromancia.com

ـ آه، أنا آسف. لم أشرح لك الأمر بالتفصيل. ولكن ما أعرفه أنه كان في ريو، في طريقه إلى ليما. ليشرف على بناء جسر حديدي فوق المنطقة، وقد ظن زملاؤه في الشركة في لندن أنه من الطبيعي أن يكون في البيرو. وبما أنه لم يصل إلى البيرو ولم تردهم عنه أية أنباء، فقد اتصلت وزارة الحكومة البيرية التي كان متعاقداً للعمل معها بالمكتب في لندن ولكنهم لم يعرفوا أن ونتربورن لم يصل بسبب الارتباك الحاصل هناك، وبسبب بعد المسافة بين البلدين.

قالت ديانا وقد بدا وجهها شاحباً.

ـ قلت إن مدير الشركة قادم إلى هنا؟.

ـ صحيح. هذا ما عرفته البارحة من ادارة الخطوط الجوية.

هزت ديانا رأسها وقالت:

ـ إذاً، انتهى كل شيء.

تنهد هاري وهو يطفيء سيجارة ثم قال:

ـ كنت تعلمين أن هذا سيحصل عاجلاً أم آجلاً. ليتك تنجحين في إقناعه بأن ما جرى كان غلطة.

ـ ماذا.. ماذا أخبروك عنه أيضاً؟ أعني هل هو متزوج؟.

ـ لا أستطيع الجزم، فالمعلومات التي وصلتني لا تتعلق بحياته الخاصة.

تنهدت ديانا ثم قالت:

ـ وماذا سنفعل؟.

ـ لا أعرف.. أخبريني ديانا هل تعرفين شيئاً عن وضع عمتك المالي؟.

ـ وما شأن وضع عمتي المالي الآن؟ ما علاقته؟.

ارتبك هاري وهو ينظر إليها:

ـ ربما له كل العلاقة!.

ـ لماذا؟... لماذا يجب أن أطلّع على شؤون عمتي؟ ولماذا تسألني؟

تنهد هاري ثم قال:

ـ حين أرسلت لك تلك الرسالة البارحة طالباً منك المجيء إلى هنا لم يكن ذلك بسبب الرجل الغريب.. آدم ونتربورن فقط.

ـ أرجوك يا هاري، كفَّ عن الألغاز.

ثم أخذت نفساً عميقاً وأضافت:

ـ انتظر لحظة! لقد قالت مارشا إنك اتصلت بالمحامي تورنتو.

ـ لا. تورنتو هو من اتصل بي. فقد.. فقد تلقى رسالة من عمتك...

ـ ولكن عمتي غير قادرة على كتابة الرسائل.

ـ أعرف هذا، ولكن شخصاً ما كتبها لها.

ـ من؟ الممرضة بيترز؟.

ـ أعتقد أن عمتك لن تفشي أمر رسالة كهذه إلى شخص غريب.

ـ رسالة كهذه؟!.

ـ نعم رسالة تتعلق بشؤون عمتك المالية!.

اضطربت ديانا كثيراً ثم قالت:

www.elromancia.com

ـ ماليّات عمتي؟ إذاً من كتبها؟ وماذا كتب فيها؟.

ـ إنه الرجل الذي تعتقد عمتك أنه ماثيو.. أعني ونتربورن.. هو الذي حرّر لها الرسالة. أترين كيف اختلطت الأمور ببعضها؟!.

ـ ما الذي تقوله؟ لماذا تطلب من ماثيو أن يكتب لها رسالة؟ لماذا هو لا أنا؟.

ـ الرسالة تتعلق بك.. أنت تعلمين أن عمتك ورثت عن والديها ثروة كبيرة وكان من المتوقع أن تعود هذه الثروة إليك.

ـ نعم.

ـ حسناً، حين كنت في المدرسة، أحست عمتك بوحدة قاتلة فقررت أن تسلي نفسها بتشغيل أموالها.

ـ بسوق الأسهم؟.

ـ شيء من هذا القبيل. ولكنها لم تستثمر أحداً حتى محاميها في كيرانوفا، بل أوكلت ذلك إلى محام آخر.

تنهد هاري ثانية ثم أضاف:

ـ إن ما أقوله سيتضح الآن.. بقيت وصيتها الأساسية مع تورنتو فظلّ الناس يعتقدونها ثرية.. لقد بذلت قصارى جهدها لتختار لك زوجاً مناسباً.

ـ كانت تعتقد أن ماثيو ثري؟.

ـ وهذا ما اعتقده هو عنها. لقد كان هدفهما مشتركاً.

ـ لهذا إذاً طلبت أن ترى ماثيو.. في مونتراڤيرد! أرادت أن تتأكد بأني لست معدمة الحال. كانت تخشى أن تطلعني على الحقيقة إن انفصلت عن ماثيو.

ـ هذا ما أعتقده... حين وصل ماثيو.. أو الرجل الذي كانت تظنه ماثيو.. انتهزت الفرصة وطلبت منه الاتصال بالسيد تورنتو الذي شرح له الظروف.

ـ هذا يعني أن ذلك الرجل.. ونتربورن.. على علم بحقيقة وضعي المالي الحالي.

ـ هذا ما أخشاه، مع أني أشك في أن يكون له تأثير في هذه الظروف.

عضت ديانا على شفتها بقوة ثم قالت:

ـ بل له كل التأثير يا هاري! ألا ترى ما قد يظنه حين يعرف الحقيقة؟ لن يصدق ما تريد أن يصدق! سيظن أنني اختطفته لأحمي نفسي.

ـ ولماذا يظن ذلك؟.

ـ أَوَ تسأل لماذا.. لأننا تعمدنا اخفاء الحقيقة عنه!.

ـ آه ديانا، أرجوك، لا تضخمي الأمور. إن ونتربورن سيكون مسروراً بعودة هويته إليه ولن يأبه بأي شيء آخر.

ـ لكنك لا تعرفه يا هاري. أنا فقط من يعرفه.

ـ والآن ماذا ستفعلين؟ هل ستخبرينه أنت أم أخبره أنا؟ أم تنتظرين حتى يصل ويل؟.

تجهم وجهها وقالت:

ـ أظنني سأخبره بنفسي.

ـ حسناً جداً، ومتى ستفعلين ذلك؟.

ـ آه لا تدفعني هاري. أمهلني بعض الوقت فأفكاري مشتتة

www.elromancia.com

الآن.

ـ طبعاً، طبعاً، أنا آسف أترغبين في تناول فنجان قهوة؟

ـ لا شكراً لك. أتعرف يا هاري لقد حُرمت في خلال عشرين دقيقة الزوج والثروة معاً!.

ـ لا تيأسي يا ديانا.

ـ لست يائسة.

قالت ديانا ذلك وهي ترسم ابتسامة باهتة على وجهها ثم أضافت:

ـ بل صدق يا هاري أنني أشعر براحة عارمة حيال عمتي ربيكا. فلم أعد على الأقل المخادعة الوحيدة. ولكنني أتمنى.. فقط أتمنى لو.. لو.

ـ لو لم يظهر ذلك الرجل.. ونتربورن؟.

أحنت ديانا رأسها وبدأ الدم يغزو وجنتيها ثم قالت: «ربما».

ـ بحق الله هل تورطت مع هذا الرجل؟ لا، لم.. لم...

قاطعته ديانا وهي تحاول حبس دموعها:

ـ لم أشاركه فراشه؟ آه لا، لا. لم أفعل ذلك، وليتني فعلت...

ـ لست جادة في ما تقولين.

ـ آه لكنني حقاً جادة.

ـ تعنين أنك.. أنك سمحت لنفسك بالانجذاب إليه؟

سألها هاري وهو يضرب بقبضته على يده الأخرى.

ـ يا إلهي.. لماذا يا ديانا.. لماذا؟.

ارتعشت ديانا ثم قالت:

ـ هل يحصل هذا بمشيئة الواحد منا؟.

ـ يا إلهي! ديانا، يبدو أنك بدأت تقومين بمغامرات سخيفة...

ـ نعم، صحيح، أليس كذلك؟ آه، لماذا سيأتي هذا الرجل ويل إلى هنا الآن؟ لماذا لم.. لماذا لم يختفِ آدم حالاً؟.

* * *

www.elromancia.com

١١ ـ رحلة إلى.. عالمه

أقيمت في القصر الرئاسي وليمة عشاء رسمية غير أن آدم وديانا لم يُدْعيا إليها. لذا أمضيا المساء في غرفة خاصة مع مارشا. كان مساءً هادئاً إلاّ أن آدم وجد الراحة حين أخلد إلى غرفته. كان بحاجة للاختلاء بنفسه ليفكر في ما يفعله خلال إقامته في العاصمة. يجب أن يعرّف عن نفسه ليُطمئن أصدقاءه وأقاربه.

ولكن الوضع راح يتعقد أكثر فأكثر يوميًا كان يرغب بادئاً في معرفة السبب الرئيسي الذي دفع ديانا إلى ذلك الادّعاء، ولكن بعدما أمضى معها وقتاً طويلاً في القصر، أدرك وضعها وقدّر خوفها من سيطرة عمتها ربيكا. لم يدرك سبب قلق عمتها الزائد على سعادتها إلاّ بعد أن طلبت منه تحرير تلك الرسالة إلى المحامي تورنتو. كانت السيدة الكبيرة قد أفلست وكانت تعتمد على أموال زوج ديانا لتكون كفيلة بإسعاد ابنة أخيها. ولقد أخبرته أنها اقترحت على الأب جورج أن يُدخل ديانا إلى الدير.

في ذلك الوقت، كان يستمع للعمة بفتور ولا مبالاة ثم اعتراه شعور بالقلق و الخوف خاصة وقلبه يختلج بالعواطف

تجاه ديانا... كان يحتقرها في البدء ويزدريها لأنها خدعته وكذبت عليه. ولم يكن يراعي شعورها أو يقدر الظروف التي أوجبتها على فعل ذلك. ولكن فيما بعد، تبدّل رأيه أي تبدل.

كوّن آدم فكرة واضحة عن زوجها من خلال أقوال العمة ومن خلال تصرفات ديانا وهي فكرة سيئة فلا أحد ينكر أن ردة فعل ديانا عندما يلمسها أي شخص كانت تِنمُّ عن خوفها وذعرها فقد كان الذعر يستولي عليها كلما اقترب منها أو حاول لمسها.

وقد ظنَّ أنها إحدى أولئك النساء اللواتي لا يقدرن على التجاوب مع حاجيات الرجل حتى كانت تلك الليلة في بيت خالة أنطونيا. تلك الليلة أراد أن يختبرها فإذا بها.. امرأة دافئة ومتجاوبة..

وهنا بدأ ألمه وكربه فعلى الرغم من خداعها له، بدأ يريدها، نعم يريدها بكل جوارحه، لا لفترة محددة بل للعمر كلّه. أرادها زوجة تشاركه حياته، تنجب أطفاله. لقد أحبها، لكنها زوجة رجل آخر.

وقبل أن يتمكن من استيعاب المشاكل الحاصلة، حدثت هذه الرحلة إلى كيرانوفا، فأدرك أنها نهاية علاقتهما. فربما اكتشف ابن عمها هاري هويته الحقيقة أو ربما كانت السلطات تطالب بعودته.

ولكن أحداً لم يتفوه بكلمة، بل إن ديانا لاذت بالصمت طيلة المساء أما هو فشعر بالذنب لأنه التزم الصمت وتركها تنسج شركها بهدوء.

حينما كان يستحم قرر الاتصال بالسفير البريطاني ليشرح له ظروفه ثم بعد ذلك يسرع للعودة إلى لندن.

ولكن ماذا عن ديانا؟ ماذا ستفعل؟ وأين هو ماثيو سليس الحقيقي؟ هل كان ماثيو شريكها في هذه اللعبة؟ لا. هذا غير معقول. لقد غامرت حين ادّعته زوجاً، فهل يمكن أن تفعل ذلك إن كان هناك أمل في رجوع زوجها فجأة؟ إذاً أين هو؟ في إنكلترا؟.

هزَّ آدم رأسه. إن مجرد التفكير في وجود رجل آخر مع ديانا، يجعل معدته تنقبض وتتألم..

ارتدى بيجاما حريرية وارتمى على السرير، ثم أشعل سيجاراً وراح يدخنه وهو يجول بنظره في أنحاء الغرفة. كانت غرفة جميلة جداً، مفروشة بطريقة فاخرة، في أرضها سجادة بنية اللون تنسجم مع الستائر والأغطية المشمشية وكان هناك باب يفصل بين غرفته وغرفة ديانا.

عضَّ على شفته هو يفكر. لا شك في أن هاري وزوجته يدركان تماماً أنه ليس زوج ديانا، فليس من عادة أهالي هذه البلدة أن ينام الزوجين في غرفتين منفصلتين. لا، لقد كان واضحاً أنه هنا كما في القصر، كانت الجهود مركزة على إبقاء علاقتهما أفلاطونية.

تأمل طرف سيجاره المشتعل. ربما كان أحمق، ربما أخطأ بشأن ديانا، ربما كان عليه أن يجبرها على تلبية رغباته في الحصول على حقوقه الزوجية بدل انتظارها واحترام مشاعرها.

تنهد آدم تنهيدة عميقة. فهو لم يكن يفعل ذلك لأنه ليس

حيواناً، إنما إنسان لا يجد ضرورة في إكراه المرأة على تلبية رغباته فهو رجل تتمناه أية امرأة.. أية امرأة على الإطلاق كأنطونيا أغيري.

أنطونيا أغيري! هزَّ رأسه. لقد سعى إلى ملاقاتها في اليوم التالي محاولاً أن يثبت لنفسه أنه كان يسخر منها.. من ديانا لكنه لم ينجح. ففي اللحظة التي عاد بها إلى القصر ووجدها قد أقفلت الباب الفاصل بينهما، تملكته رغبة في تحطيم ذلك الباب. ولكن عندما فتحت ديانا الباب أراد أن يعانقها ويعانقها حتى تستجيب له. وهذا ما كان سيحدث لو أقدم على معانقتها فحينما كان يمسكها بين ذراعيه كانت تهدأ وتذعن له...

لكن هذا ليس كافياً، فزوجها الحقيقي ما زال موجوداً.

انتصب في سريره كالأسد الهائج. لم يعد يستطيع الاستمرار في الغش والتمثيل، فعليه بطريقة أو بأخرى أن يضع حداً لتلك الأمور. ولكن الله وحده يعرف كيف سيتم ذلك.

في الصباح التالي استيقظت ديانا باكراً وارتدت ثيابها وحين علمت أن مارشا غير معافاة ذلك الصباح شعرت براحة يشوبها شعور بالذنب، ذلك أنها لم ترغب في أن تراها بذلك اليأس والقنوط.

جلست لتناول طعام الصباح بمفردها في غرفة الطعام الكبيرة في القصر الرئاسي وعندما لم يأت آدم لتناول طعام الفطور أحست بوحدة مخيفة فقد راحت تفكر في أنه حينما يكتشف هويته سيرحل إلى الأبد. وحينئذٍ ماذا ستفعل؟.

لم ترغب في تناول أي شيءٍ سوى القهوة. فقد كان فكرها

مشغولاً بإيجاد الكلام المناسب والأسباب المقنعة الكفيلة باقناع آدم. كان هاري قد أخبرها أن ويل سيصل في أيام قليلة. ربما يصل اليوم قبل أن تعترف لآدم بالحقيقة. إنه لأمر مخيف. تُرى ماذا ستكون ردة فعله؟ ماذا سيقول؟ فهناك أحكام وقوانين تمنع اعتقال أي شخص للمصلحة الشخصية. وهل من الممكن أن تخطىء زوجة ماثيو سليس بالتعرف إلى زوجها. طبعاً هذا أمر مستبعد بل مستحيل، ماذا لو قال إنها استغلت ظروفه لمصلحتها الخاصة؟ ماذا لو طالب بمحاكمتها؟ كيف ستدافع عن نفسها؟ وماذا سيكون عقابها؟.

قامت عن الطاولة، وهي تتمنى أن يظهر أمامها لتعترف له بالحقيقة وتطلب منه السماح.

صعدت إلى الطابق العلوي وراحت تفتش عنه وعندما لم ترَ له وجهاً، نزلت إلى الصالة ورنّت الجرس تطلب أحد الخدم الذي سألته إن كان يعرف إلى أين خرج زوجها.

ـ نعم يا سنيورا! لقد طلب السنيور سليس سيارة وخرج باكراً في حوالي الثامنة.

ـ خرج؟ ألم يقل إلى أين ذهب؟.

ـ لا يا سنيورا، قال إنه سيذهب لمشاهدة المدينة فقط.

بعد انصراف الخادم توجهت إلى غرفة الجلوس وهي تتساءل عن المكان الذي قصده. ولماذا؟ لماذا لم يخبرها بأنه ذاهب لمشاهدة المدينة؟ وإن لم يذهب فأين هو؟ هل عادت ذاكرته إليه بعد مجيئهم إلى كيرانوفا؟ أم استعادها بعد ذلك الحديث المطوّل مع الطيار؟.

حان وقت الغداء وآدم لم يرجع. عندما خرج هاري من مكتبه وجد ديانا بانتظاره شاحبة فنظر إليها متسائلاً:

ـ ديانا ماذا هناك؟ ماذا حصل؟.

ثم أمسك ذراعها وأدخلها إلى مكتبه وهو يقول:

ـ تعالي يا ديانا. ماذا حدث؟.

ارتجفت ديانا قبل أن تتكلم ثم راحت تقول:

ـ لقد.. لقد اختفى!.

ـ اختفى؟ ماذا تعنين؟.

ـ آدم.. لقد رحل. طلب سيارة هذا الصباح ورحل عند الساعة الثامنة.

ـ ماذا؟ ومن سمح له باستعمال إحدى السيارات الرسمية؟.

ـ وهل كان يحتاج إلى تصريح؟ آه حسناً، أعتقد أن مارشا قالت لنا البارحة إننا نستطيع استعمال سيارة إن أردنا الخروج.

ـ خرج دون أن يذكر لك وجهة سيره؟.

أجابت ديانا نعم ثم سحبت نفساً عميقاً:

ـ آه هاري ماذا سأفعل؟.

ـ هدئي من روعك.

دخل أحد موظفي القصر وفي يده رسالة ثم قال «هناك رسالة لك يا سيدي».

ـ حسناً أعطني إياها، يمكنك الانصراف.

بعد أن خرج الموظف، فتح الرسالة ثم قال:

ـ هذه الرسالة من السفارة البريطانية يقولون فيها إن السنيور كنت ويل قد وصل صباح اليوم.

www.elromancia.com

رددت ديانا الاسم مذعورة:

ـ ويل!.

ـ نعم، لقد جاء رئيس آدم طلباً لرؤيته.

ـ هل في الرسالة ذكر لآدم؟.

ـ لا، إنها فقط رسالة تبلغ أن ويل وصل. فقد طلبت أن أُبلّغ حالما يصل.

ـ إذاً أين آدم؟.

ـ لا أعرف... ديانا، هل أنت متأكدة أن هذا الرجل ونتربورن لا يعرف هويته الحقيقية؟.

ـ طبعاً.. ولماذا تسأل؟.

ـ لا أعرف! لكنني قلق.

ـ ماذا ستفعل؟.

ـ لا أدري.

ـ والسيارة الرسمية؟ ألا تخشى أن تختفي هي الأخرى؟.

ـ سأتصل بالكاراج وأطلب منهم أن يعلموني في حال وصول السيارة.

ـ حسناً يا هاري.

رفع لويس سماعة الهاتف وطلب الكاراج الخاص بالقصر الرئاسي. عندما أجابه المكانيكي شرح له هاري مطلبه ثم صرخ قائلاً «متى؟ وإلى أين أقلته السيارة»؟.

خيّم الصمت للحظات فنظرت ديانا بعينين معذبتين إلى هاري الذي وضع يده على السماعة ثم قال: لقد أعيدت السيارة إلى الكاراج منذ ساعة تقريباً، والميكانيكي يقوم بالاتصال

بالسائق ليعرف منه المكان الذي أوصل إليه ونتربورن.

بعد لحظات قليلة أومأ هاري برأسه قائلاً «حسناً شكراً لك». ثم أقفل الهاتف ونظر إلى ديانا قائلاً:

ـ لا حاجة إلى الاعتراف بشيء يا ديانا فالسائق أوصل ونتربورن إلى السفارة البريطانية.

في وقت متأخر من النهار قررت ديانا الفرار إلى مكان هادىء تداوي فيه آلامها العقلية والفكرية فانتظرت هاري حتى الرابعة وأخبرته بقرارها. عارضها هاري في البداية ولكنه سرعان ما بدّل رأيه حين رأى أنها ستفقد أعصابها كلياً وتنهار. فكان أن وعدها بأن يتولى الموضوع بنفسه ثم بعد ذلك رتب لها موضوع رحيلها بطائرة رئاسية عائدة إلى القصر.

توفيت عمتها بعد أيام قليلة من عودتها إلى القصر وحينما سُئلت عن زوجها ادّعت أنه اضطر للسفر إلى انكلترا.

بعد مراسم الجنازة لم تجد ضرورة في إطلاع كلوديا على حقيقة وضع العمة المالي فبعد أن تصفي حسابات عمتها، ستضطر إلى ترك القصر لأنه ربما يباع لتسديد الديون المتوجبة.

قبل أن تسوّي أمور عمتها العقارية، تلقت ديانا رسالة أخرى من محامي ماثيو في لندن. كانت تظن أن ممتلكات ماثيو قد سويت جميعها ولكن على ما يبدو أن هناك أموراً كثيرة يجب أن تشرف على إنجازها بنفسها وهكذا ستضطر للسفر إلى انكلترا.

ارتبكت ديانا من الأخبار المكتوبة في الرسالة، فآخر ما كانت تتوقعه هو أن تزور انكلترا مجدداً. لقد كرهت ذلك البلد

كثيراً ولم ترغب في مناقشة أية أمور تتعلق بماثيو أو تذكّر به على الاطلاق.

لهذا، ردّت على محاميّ ماثيو برسالة تشرح فيها وفاة عمتها وتعتذر عن السفر إلى انكلترا وتطلب منهم أن يرسلوا لها بالأوراق.

غير أنها تلقت رسالة أخرى من المحامين يصرون فيها على سفرها إلى انكلترا للضرورة ويطلبون منها القيام بإجراءات السفر حالاً. فكان أن قررت السفر على مضض.

وأخيراً، قررت الذهاب. شرحت لكلوديا أنها ستسافر إلى انكلترا لأن زوجها أرسل بطلبها. احتقرت ديانا نفسها على فعل ذلك وأحسّت بأنها أصبحت ماهرة في اختلاق الأكاذيب.

وصلت إلى لندن في وقت بارد ومتأخر من شهر آذار، وكانت حبات المطر تذكر المرء بأن الشتاء ما زال في بدايته.

حجزت غرفة في فندق صغير أمضت فيه بقية النهار مؤجلة الاتصال حتى صباح الغد فقد وجدت نفسها متعبة إلى أقصى الدرجات.

في صباح اليوم التالي، بقي الطقس على حاله مع أن المطر خفَّ نسبياً.

تناولت طعام الفطور في غرفة الطعام الخاصة في ذلك الفندق، ومن ثم قامت لتتصل بمكاتب المحامين.

اقترح عليها المحامي الذي اتصلت به أولاً أن تقوم هي بزيارة جميع المحامين في مكاتبهم ظهر هذا اليوم، فشكرته ديانا وأقفلت الهاتف.

كانت مكاتب المحامين في مبنى رمادي عال. وهو مبنى قصدته مراراً في السابق لهذا عرفتها موظفة الاستعلامات وابتسمت لها قائلة:

ـ السيدة سليس، أليس كذلك؟.

أجابت ديانا وهي تنظر إلى نفسها لتتأكد من أناقة مظهرها:

ـ هذا صحيح.

ـ في الطابق الأول، الباب الأول يميناً يا سيدة سليس.

ـ شكراً لك.

ارتقت ديانا الأدراج الضيقة، وحين وصلت وجدت أبواباً عدة دقت على الباب الأول منها وبعد ثوانٍ سمعت صوت رجل يقول «تفضل». أدارت مقبض الباب ودخلت إلى غرفة واسعة ومضاءة. نظرت إلى الرجل الواقف أمام طاولة المكتب. كان يرتدي بدلة رمادية وقميصاً من الحرير الخالص شعره أسود ناعم وهو بذلك صورة مصغرة عن رجل أعمال انكليزي ولكنه كان يعني لديانا أكثر من هذا بكثير. حدقت إليه مذهولة ثم ارتدّت خطواتها إلى الوراء لأنها أقنعت نفسها أنها ضلّت الغرفة.

هزّت ديانا رأسها ثم قالت بصوت مرتجف:

ـ أنا... أنا آسفة. لقد أخطأت الغرفة.

اقترب آدم ونتربورن منها نازعاً يدها عن المقبض، موصداً الباب بإحكام:

ـ لم تخطئي الغرفة يا ديانا فأنا الذي أرسلت بطلبك.

ـ أنت أرسلت بطلبي؟.

أجابها آدم: «هذا صحيح».

ثم تناول سيجاراً من العلبة الموجودة على طاولة المكتب وأضاف «ألن تجلسي؟».

هزت ديانا رأسها وقالت:

ـ لا، شكراً لك...

ثم نظرت حولها بخوف وأضافت:

ـ لماذا.. لماذا أرسلت بطلبي؟

أشعل آدم سيجاره قبل أن يجيبها:

ـ ربما أحضرتك إلى هنا لأوقفك لأنك اعتقلتِ رجلاً غريباً وادَّعيته زوجاً.

ذعرت ديانا وهي تتساءل:

ـ أنت.. أنت تفعل ذلك؟.

أمعن آدم النظر إليها ثم هزَّ رأسه قائلاً:

ـ لا! لا! لن أفعل هذا؟.

سألته وصوتها يكاد يختنق:

ـ هل.. هل استعدت ذاكرتك؟.

لوى آدم شفتيه وقال:

ـ ماذا لو أخبرتك أن ذاكرتي عادت إليَّ قبل أن تنقليني من العيادة؟.

لهثت ديانا ثم قالت:

ـ هذا.. هذا ليس صحيحاً.

ـ ولم لا؟.

ـ حسناً، إذاً لماذا سمحت لي بأن أقوم بما قمت به ما دمت تعرف من تكون؟.

ـ ربما كنت فضولياً.

ارتمت ديانا على المقعد فقد فقدت سيطرتها على توازنها ثم قالت:

ـ إنك تربكني وتحيِّرني.

ـ ليس أكثر مما أربكتني أنتِ، صدقيني!.

ـ و.. وكنت تعرف من تكون.. طوال الوقت؟.

ـ هذا صحيح.

ـ لكن، لماذا فعلت ذلك؟.

ـ بل لماذا فعلتِ أنت ذلك.

ـ لأسباب أنانية بحتة على ما أعتقد. فأنا لم أستطع أن أخبر عمتي بأن.. بأن ماثيو قد قضى نحبه.

ـ أعرف هذا الآن.

قالت ديانا وهي تحدق إليه مذهولة: «تعرف هذا».

ـ نعم أعرفه. لقد أخبرني هاري بذلك.

ـ هاري؟ أنت تكلمت إلى هاري؟.

ـ آه، نعم تكلمت إليه منذ وقت طويل.

ثم عضَّ على شفته السفلى بقسوة وتابع يقول:

ـ بالله عليك ديانا، لماذا هربت؟

قال كلماته الأخيرة بنبرة مختلفة تماماً وكأنها صدرت منه رغماً عنه.

أحنت ديانا رأسها تجنباً لنظراته:

ـ هذا واضح طبعاً. علمت أنك، بعد.. بعد وصول ذلك الرجل ويل، ستكتشف الحقيقة، وكنت أخشى مواجهتك!.

www.elromancia.com

أطفأ سيجاره في المنفضة وقال:

ـ لكن لماذا؟ لماذا لم تنتظري؟ كنت تعلمين أنني سأعود.

ـ وكيف لي أن أعرف؟ كيف لي أن أتأكد مما ستفعل؟ فأنت لم ترسل أية كلمة، بل اختفيت فجأة؟.

ـ أعلم هذا، ولكن حاولي أن تنظري إلى الموضوع من وجهة نظري أنا. لقد ذهبت إلى السفارة ذلك الصباح لأشرح الوضع للسفير، ولم أكن أعلم أن ويل قد وصل. اللعنة، لقد صادف أن السفير في كيرانوفا قد رافقه وحين رآني أفسد عليَّ كل الأمر. يا الله، لقد احتجت إلى وقت طويل لأشرح لهم كل شيء. وكان هناك أشياء كثيرة أخبرهم إياها. أظن أن الأمر كان غريباً. وقد اعتبرني ويل طائشاً ومغفلا.

وضعت ديانا يدها على صدغها ثم سألته:

ـ وحين رأيت هاري، ماذا أخبرته؟.

ـ هو الذي أخبرني أشياء كثيرة. وكان أول ما أخبرني به أنك رحلت، وهذا ما زاد الأمور تعقيداً.

ـ ماذا تعني؟.

ـ اللعنة! وماذا تظنيني أعني؟ كدت أدق عنقه حين أخبرني برحيلك. وكنت قد وعدت ويل بأن ألحق به إلى لندن في اليوم التالي، ولهذا لم يكن باستطاعتي أن أتعقبك إضافة إلى أنني لم أكن أعرف أن ماثيو سليس ميت.

احمرّت وجنتاها وهي تقول: «وها قد عرفت!».

ـ آه، نعم، عرفت أشياء كثرة. عرفت أن عمتك هي أجبرتك على الزواج به، وعلمت أيضاً أنها كانت ستدخلك إلى

الدير إن رفضت الزواج به، وعرفت أيضاً كيف كان يعاملك ماثيو... آه نعم...

واشتعل وجه ديانا بالاحمرار ثم تابع يقول.

ـ عرفت هذه الأمور أيضاً. صدقيني يا ديانا، إني أوافق هاري رأيه وأتمنى لو يأتي ليعلمني درساً آخر. يا الله ما هذا الشعور! أنا لم أعتد أن أكون قاسياً بهذا الشكل... على أية حال، هذا بعيد كل البعد عن الموضوع الأساسي، ماذا عرفتُ من هاري أيضاً؟ آه صحيح. سمعت أيضاً أن عمتك أرادت أن تزوجك ماثيو طمعاً بثروته وهذا ما كان يريده هو منها. وكانت النتيجة زواجك من رجل لا تحبينه. وقد عرفت أيضاً أنك لم تستطيعي إطلاع عمتك على وفاة ماثيو بسبب أزمتها القلبية الحادة تلك آه نعم أعتقد أنني على علمٍ بكل شيء الآن.

ـ حسناً، يسرني أنك تعرف كل شيءٍ الآن. وأعتقد أن من واجبي أن أشكرك لأنك لم توجه لي تهمة ولكنني كنت أفضل لو أرسلت لي كل هذا على ورقة بدلاً من أن ترسل بطلبي شخصياً.

قالت ذلك بصوت مخنوق ثم أشاحت بوجهها وهي غير قادرة على مواجهة نظراته الممعنة.

تفوه آدم بعبارة غريبة، ثم ما هي إلا لحظة حتى كان يقف خلفها، واضعاً يديه حول كتفيها جاذباً جسدها المرتعش إلى جسده القوي.

ـ ما هذا الذي تقولينه يا ديانا؟ أنا لم أرسل بطلبك لأكلمك فقط.

ثم مال عليها يعانقها بشوق وشغف، وقد راحت أصابعه تعبث بشعرها وتنشره على كتفيها كستارة حريرية...

استجابت ديانا قليلاً، لكنها ما لبثت أن انتفضت من بين ذراعيه مبتعدة عنه وهي تقول وأنفاسها متقطعة:

ـ لا، لا.. هذا لن ينجح.

تجهَّم وجه آدم وامتلأ حنقاً وصرخ في وجهها:

ـ لماذا اللعنة عليك، إني أعرفك جيداً يا ديانا. لا يسعك أن تنكري رغبتك فيَّ!.

سوَّت ديانا شعرها وقالت:

ـ لا، لا، لا يمكنني إنكار هذا.. ولو...

تقدم منها ولكنها مدت يدها تحاول إبعاده:

ـ لكن الأمر مختلف الآن، أنا.. أنت تعلم.. على الأقل أنا أعرف الآن أنك لست زوجي، و... وأنا لست من أولئك النساء....

ـ اللعنة... ماذا تقصدين بكلامك هذا؟.

ـ أعني، بما أنني لم أكن. خسناً.. لم أكن خجولة هناك، إلا أنني ما كنت لأوافق على عمل كهذا.

ـ بحق الله، أيتها المرأة! هل طلبت منك شيئاً؟.

مشى في الغرفة واقترب منها وشدها إليه بقوة غير عابئ بجهودها الممانعة ثم قال:

ـ أُريد أن أتزوجك، أيتها الحمقاء الصغيرة «وغمر وجهه بشعرها» يا الله، إن لم تكوني لي أجنّ حتماً.

نظرت إليه ديانا ثم قالت:

ـ ولكن.. لكنك قلت مرةً إنك تذكر شجاراً مع زوجة! هل.. هل كان ذلك تمثيلاً؟.

ـ كلا، لم يكن تمثيلاً. لقد كنت متزوجاً. إلا أننا انفصلنا وقد توفيت طليقتي بعد انفصالنا. ومنذ ذلك الوقت لم أفكر في الارتباط بأية إنسانة، حتى التقيت بك، وتعرفت إلى هذه الحمقاء المغفلة...

ومال عليها يعانقها بكل جوارحه. مرَّ وقت قصير وهي مأخوذة بسحر عناقه ولكنها استفاقت من نشوتها مجبرة نفسها على التفكير منطقياً:

ـ ولكن لماذا طلبت مني الحضور إلى لندن؟ لماذا لم تقصد الوادي بنفسك؟.

أبعد ماثيو شعرها عن وجهها ولفه خلف أذنها وهو يتحسس وجهها الناعم ثم قال:

ـ لأسباب عديدة. أوَّلها إني وعدت ويل بأن أخصص له بعضاً من وقتي.

ثم ابتسم ابتسامة صغيرة وتابع يقول.

ـ لقد كان متفهماً جداً، وقد منحني شهر إجازة لتمضية شهر العسل معك. أما السبب الثاني فهو أنني أردتك هنا، بعيداً عن تأثيرات عمتك. آسف على وفاتها. كان من المفروض أن أقدِّم أسفي قبل الآن، ولكن هناك أشياء أخرى أقولها أخيراً، أردتك أن تأتي إلى لندن لتتعرفي إلى مكان عملي وإلى الشقة التي أعيش فيها.. وإلى عالمي! كل عالمي. العالم الذي ستسكنين فيه إن أصبحت زوجتي. أتعتقدين أنه بإمكانك التأقلم مع هذه

www.elromancia.com

المنطقة؟.

قالت ديانا:

ـ أعتقد أنه بامكاني العيش حيثما تكون أنت. ولكن.. ولكن ماذا عن القصر؟ عليَّ أن أبيعه حالاً.

ـ لماذا؟ لا أحسب أن رهنه كبير جداً، فإن أردت يمكن أن يصبح هذا القصر بيتنا، فعملي يضطرني للتنقل في أنحاء العالم وماانكلترا إلا المركز ـ القاعدة ـ.

ـ آه ما أروع هذا! هذا مدهش! لا أعرف كيف أشكرك.

ـ بل تعرفين يا ديانا.

جعلت اجابته تلك وجنتيها تتوردان من جديد.

* * *

www.eromancia.com
مـــرمـــوريـــة